# التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٥٨٠ السنة التاسعة والأربعون - ربيع الآخر ١٤٤١ هـ

الثمن ٥ جنيهات

وقوع الطلاق البدعي

## النيل

## وسد النهضة والأمن القومي المصري

- القلب السليم وأوصافه في القرآن الكريم
- أحداث مهمة وقعت في شهر ربيع
- وقت صلاة الضحى وعدد ركعاتها

رئيس مجلس الإدارة
**أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
**جمعية أنصار السنة المحمدية**

المشرف العام
**د. عبد العظيم بدوي**

اللجنة العلمية
**جمال عبد الرحمن**
**معاوية محمد هيكل**
**د. مرزوق محمد مرزوق**
**محمد عبد العزيز السيد**

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
|| ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

## السلام عليكم

# رباعيات

في أمثال الحكماء:

- «أربعة لا يزول معها مُلْك: حفْظ الدِّين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم، وأربعة لا يثبت معها مُلْك: غشّ الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.
- وأربعة لا بقاء لها: مال يُجْمَع من الحرام، وحال تُعْقَد من الآثام، ودولة تعرَّت من العقل، ومُلْك يخلو من العدل.
- وأربعة لا يطمع فيها عاقل: غلبة القضاء، ونصيحة الأعداء، وتغيُّر الخُلق، وإرضاء الخَلق.
- وأربعة لا يخلو منها جاهل: قول بلا معنى، وفعل بلا جدوى، وخصومة بلا طائل، ومناظرة بلا حاصل.
- وأربعة تؤكد المحبة: حُسْن البِشْر، وبذل البِرّ، وقصد الوفاق، وترك النفاق.
- وأربعة من علامات الكريم: بذل الندى، وكفّ الأذى، وتعجيل المثوبة، وتأخير العقوبة.
- وأربعة يُستدَلّ بها على أربعة: العفة على الديانة، والنصيحة على الأمانة، والصمت على العقل، والعدل على الفضل.
- وأربعة يُقْضَى بها على أربعة: السعاية على الدناءة، والإساءة على الرداءة، والحلف على البخل، والسخف على الجهل.
- وأربعة تدل على العقل: حبّ العلم، وحُسْن السلم، وصحة الجواب، وكثرة الصواب».

**التحرير**

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

**رئيس التحرير:**
**جمال سعد حاتم**

**مدير التحرير الفني:**
**حسين عطا القراط**

## في هذا العدد

افتتاحية العدد: القلب السليم وأوصافه في القرآن: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: النيل وسد النهضة والأمن القومي المصري: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: الشيخ أحمد طالب بن حميد ٢٦
أحداث مهمة وقعت في شهر ربيع: عبد الرزاق السيد عيد ٢٩
خطورة الأمية الدينية: د. أحمد منصور سبالك ٣٢
بحار الفتن وسبل النجاة: د. عماد عيسى ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
وقت صلاة الضحى وعدد ركعاتها: د. حمدي طه ٤١
مفهوم لغة الجسد في القرآن والسنة: د. ياسر لمعي ٤٤
إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٤٧
الزواج وطموحات المرأة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والعقل والنقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الإنسانة التي لا يمكن مكافأتها: عبده أحمد الأقرع ٦١
وقوع الطلاق البدعي: محمد عبد العزيز ٦٥
استشعار المسلم مراقبة الله له: صلاح نجيب الدق ٦٩
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٧٢

**سكرتير التحرير:**
**مصطفى خليل أبو المعاطي**

**الإخراج الصحفي:**
**أحمد رجب محمد**
**محمد محمود فتحي**

### الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم/ ١٩١٥٩٠

### ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

**منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع**

**١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.**

افتتاحية العدد

# القلب السليم وأوصافه في القرآن الكريم

الرئيس العام

**أ.د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القلب قطعة صغيرة في بدن الإنسان، ولكنه عظيم الشأن والقدر؛ إذ عليه مدار استقامة الإنسان، ولن ينجو أحد يوم الدين إلا إذا أتى الله بقلب سليم، كما قال الله تعالى: «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء: ٨٨-٨٩)، قال القرطبي رحمه الله: ««إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم» يَنْفَعُهُ لسَلَامَة قلبه، وَخَصّ الْقَلْبَ بالذِّكْر، لأَنَّهُ الَّذي إذَا سَلِمَ سَلِمَت الْجَوَارحُ، وَإذَا فَسَدَ فَسَدَتْ سَائرُ الْجَوارح. قَالَ الضَّحَّاكُ: السَّليمُ الْخَالصُ. قُلْتُ-أي القرطبي-: وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ شَتَاتَ الأَقْوَال بعُمُومه وَهُوَ حَسَنٌ، أي الْخَالصُ من الأَوْصَاف الذَّميمَة، وَالْمُتَّصفُ بالأَوْصَاف الْجَميلَة». (تفسير القرطبي ٧/١٠٧).

ويُفهم من ذلك: أن القلب السليم هو القلب الذي صارت السلامة صفة ثابتة له، فكانت منه الطاعة والعبادة، يقول ابن القيم رحمه الله: «القلب السليم: هو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله صلى الله عليه وسلم». (إغاثة اللهفان ١/١١).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتني بإصلاح القلوب ويتوجه إلى ربه داعيًا إياه بذلك؛ كقوله في الحديث: « اللَّهُمَّ اغْسلْ خَطَايَايَ بمَاء الثَّلْج والبَرَد، ونَقِّ قَلْبي منَ الخَطَايَا كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ منَ الدَّنَس، وبَاعدْ بَيْني وبيْنَ خَطَايَايَ كما بَاعَدْتَ بيْنَ المَشْرق والمَغْرب». (البخاري: ٦٣٧٥).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا وقف بين يدي ربه في قيام الليل يقول: «اللهمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا». ويلاحظ أنه بدأ بالقلب للأهمية، قال الكرماني: «التنوين فيها للتعظيم: أي نورًا

عظيمًا». (فتح الباري ١١/١١٧).

وقال النووي رحمه الله: «قال العلماء: سأل النور في أعضائه وجهاته، والمراد بيان الحق وضياؤه والهداية إليه». (شرح النووي على مسلم ٦/٤٥).

ويلاحظ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ في دعائه بسؤال ربه النور في قلبه، ولذلك فمن الواجب على العبد أن يهتم غاية الاهتمام بإصلاح قلبه وتزكية نفسه، مع القيام ضرورة بما أوجب الله عليه من الفرائض والواجبات ليستقيم صلاح الظاهر مع الباطن، وإذا أصلح المسلم قلبه بالعمل الصالح، وكان صادقًا في محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم استقامت جوارحه وصلح ظاهره، وكان باطنه وظاهره سواء، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وفيه: «ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً، إذا صلحتْ، صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ، فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القَلْبُ». (البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩).

وقد دل هذا الحديث على أن صلاح الجسد وفساده متوقف على القلب، قال ابن حجر: «وخص القلب بذلك؛ لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدْر القلب، والحثّ على صلاحه». (فتح الباري ١/١٢٨).

وقال ابن تيمية: «ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ألا وهي القلب»؛ فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: "الإيمان قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد». (مجموع الفتاوى ٧/١٨٧).

### من أوصاف القلوب السليمة:

وللقلوب المؤمنة المستقيمة أوصاف صريحة في القرآن يحسن معنا هنا أن نقف على شيء منها، وهي كما يلي:

١- الوجل: وهو الفزع والخوف، قال الله تعالى في أهل الإيمان: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (الأنفال:٢).

قال الزجاج: إذا ذكرت عظمتُه وقدرتُه وما خوَّف به من عصاه، فزعت قلوبهم.. وقال السُّدِّيُّ: هو الرَّجُل يهمُّ بالمعصية، فيذكُرُ الله فينزِعُ عنها. (زاد المسير لابن الجوزي ٣/٣٢٠).

قلتُ: وهذه صفة المؤمن قوي الإيمان، إذا ذُكر الله وجل قلبه، فأقبل على ربه وأدى أوامره وانزجر عن نواهيه، وقد ورد هو في سورة الحج مقرونًا بالعمل الصالح في قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ» (الحج:٣٥)، ومثله ما جاء في سورة المؤمنون في قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ» (المؤمنون:٦٠)، وكان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الناس قلوبًا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك وصف العرباض بن سارية قلوبهم بذلك، كما جاء في الحديث: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب». (صحيح سنن أبي داود: ٤٦٠٧، وصححه الألباني).

٢- الإخبات: ومعناه: الذلة والاستكانة لرب الأرض والسماء، وقد جاء وصف القلوب به في قول الله تعالى: «وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الحج:٥٤). قال ابن جرير: «أي تخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه». (تفسير الطبري ٣/١٣٤).

وقد بشر الله تبارك وتعالى المخبتين في كتابه فقال: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» (الحج:٣٤)، ويلاحظ من الآية أن المخبتين حققوا الإيمان بالله وتوحيده جل في علاه، ثم قاموا بما فرض عليهم من الشرائع لله وحده.

٣- الخشوع: كما جاء في قوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» (الحديد:١٦)، وهذه الآية فيها دعوة من الله لعباده إلى سرعة التسليم والخشوع للحق الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى، وقد أخرج مسلم في صحيحه: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ما كانَ بيْنَ إسْلامنا وبيْنَ أنْ عاتَبنا الله بهذه الآيَة: «ألَمْ يأنِ للَّذينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لذكْر الله» إلا أرْبعَ سنينَ". (مسلم: ٣٠٢٧).

وفي هذه الآية حثٌ للمؤمنين على خشوع القلب لله تعالى، والانقياد لأوامره، ونهي لهم أن يكونوا كأهل الكتاب الذين طال عليهم الزمان، واستولت عليهم الغفلة، فقست قلوبهم وأصبح أكثرهم فاسقين خارجين عن شريعة الله.

٤- الإنابة: كما في قوله تعالى: «مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ» (ق:٣٣) أي: تائب من ذنوبه ومقبل إلى طاعة ربه. (انظر: تفسير البغوي ٤/٢٢٥)، وأصحاب هذه القلوب قد وعدهم الله بدخول الجنان مقرونًا بالسلامة من الآفات والشرور، مأمونًا فيه من جميع مكاره الأمور. (انظر: تفسير السعدي ٧/١٥٦).

٥- اللين: كما جاء في قوله تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» (الزمر:٢٣)، وفي هذه الآية أولاً ثناء من الله تعالى على كتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم ثناء على قلوب أوليائه الذين تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. قال ابن كثير: «هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار؛ لما يفهمونه منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد، وتقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه». (تفسير ابن كثير ٤/٦٦).

٦- الثبات والربط: كما في قوله تعالى: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ» (الأنفال:١١)، ومعنى الربط على القلب: أي قوته ونفي الخوف عنه، يقال: «ربط جأشه رباطة: اشتد قلبه فلم يفرَ عند الفزع». (المعجم الوجيز: ٢٥٢).

قال رشيد: «الربط على القلوب، ويعبر عنه بتثبتها وتوطينها على المصير، كما قال تعالى: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا» (القصص:١٠)». (تفسير المنار ٩/٦١١).

ومن صفات القلوب أيضًا: الشرح، قال الله تعالى: «فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» (الأنعام:١٢٥). وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» (الشرح:١). وهناك صفات أخر كالهداية، والتقوى، والسكينة، والرأفة والرحمة والثبات، والطهارة.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب القلوب السليمة المتصفة بهذه الصفات، وأذكر نفسي وإخواني بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنس: «كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: يا مقلِبَ القلوب ثبِّت قلبي على دينك، فقلتُ: يا نبيَّ الله آمنا بكَ وبما جئت به فهل تخافُ علينا؟ قال: نعَم إنّ القلوبَ بينَ إصبعَين من أصابع الله يقلبُها كيفَ شاءَ». (صحيح سنن الترمذي: ٢/٢٢٥).

والحمد لله رب العالمين.

# النيل وسد النهضة.. والأمن القومي المصري

**رئيس التحرير**

**جمال سعد حاتم**

GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله وكفى، وسلامًا على حبيبه المصطفى، وبعدُ:

فبينما أعداء الأمة يتناوبون تنفيذ المؤامرات ضد الدول العربية والإسلامية، ومع توالي الضربات، وتقسيم التركات، وتفتيت الأوطان، وتدمير البنيان، فها هي إسرائيل تعربد في غزة التي اشتعلت فيها الأوضاع بعد الضربات الإسرائيلية على المواقع الفلسطينية أمام صمت دولي عجيب، دون رادع من أحد، وارتفاع حصيلة القتل والدمار في ظل غياب أيّ رد فعل عربي، اللهم إلا ردود تصدر على استحياء، وحالة من الفوضى والقتل في عدد من الدول العربية، وبأيادٍ خفية؛ في العراق، ولبنان، والجزائر، وسوريا، يستغل العدو الصهيوني حالة الانشغال هذه للقيام بضربات موجعة ضد الفلسطينيين، وسط هذه الأجواء تعود للظهور على السطح بشدة أزمة تؤرق الشعب المصري كله وتشغله بشدة؛ حيث تطفو أزمة سد النهضة، وتفرض نفسها بقوة في ظل تراجع إثيوبيا عن التزامها بعدم المساس بحصة مصر من المياه، مما يُعدّ تهديدًا لأمن مصر القومي، الذي يعتمد على مياه النيل كمصدر حياة للشعب المصري، وعدم احترام الاتفاقيات الدولية الموقَّعة بين دول المنبع ودول المصبّ، رغم إبداء الموقف المصري للمزيد من التعاون في مشروعات التنمية مع الدول الإفريقية، وتمسك مصر في نفس الوقت بحقوقها التاريخية في مياه النيل.

### حقوق مصر التاريخية في مياه النيل

لقد وقَّعت الحكومة البِريطانية ممثلة لإقليم شرق إفريقيا، اتفاقًا مع الحكومة المصرية عام ١٩٢٩م يضمن تدفق خمسة وخمسين ونصف مليار متر مكعب من المياه سنويًا لمصر.

ونصّت الاتفاقية الموقَّعة بين مصر وبريطانيا -التي كانت تنوب عن السودان وأوغندا وتنزانيا- على ألا تقام بغير اتفاق مُسبق مع الحكومة المصرية أيَّة أعمال ريّ أو كهرومائية أو أية إجراءات أخرى على النيل

وفروعه، أو على البحيرات التي ينبع منها سواء في السودان أو في البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية، والتي من شأنها إنقاص مقدار المياه التي تصل إلى مصر، أو تعديل تاريخ وصولها، أو تخفيض منسوبها على أيّ وجه يُلحق ضررًا بالمصالح المصرية.

كما تنص الاتفاقية على حق مصر الطبيعي في مياه النيل، كما تضمنت بنودًا تخصّ العلاقة المائية بين مصور والسودان.

وفي عام ١٩٣٤م وُقِّعت اتفاقية بين بريطانيا وبلجيكا تعهدتا بموجبها بأنه إذا ما تم تحويل أية كميات من مياه جزء من النهر يقع كله في حدود تنجانيقا، أو رواندا-بورندي، بأن يُعيدا هذه الكمية دون أيّ نقصان محسوس إلى مجرى النهر عند نقطة معينة قبل أن يدخل النهر حدود الدولة الأخرى أو قبل أن يُشكّل الحدود المشتركة بين إقليمي الدولتين.

وفي عام ١٩٥٩م وُقِّعت في القاهرة بين مصر والسودان اتفاقية مكمِّلة لاتفاقية عام ١٩٢٩م، وليست لاغية لها؛ حيث تشمل الضبط الكامل لمياه النيل الواصلة لكل من مصر والسودان في ظل المتغيرات الجديدة التي ظهرت على السطح آنذاك، وهي الرغبة في إنشاء السد العالي ومشروعات أعالي النيل لزيادة إيراد النهر، وإقامة عدد من الخزانات في أسوان.

وقد حددت لأول مرة اتفاقية نوفمبر ١٩٥٩م بين مصر والسودان كمية المياه لمصر والسودان بـ٥٥,٥ مليار متر مكعب لمصر، و١٨,٥ مليار متر مكعب للسودان.

وقد جاءت الخطابات المتبادلة بين مصر وأوغندا عام ١٩٩١م، والتي أشارت إلى المذكرات المتبادلة بين مصر وبريطانيا بخصوص إنشاء محطة توليد الكهرباء في أوغندا (١٩٤٩-١٩٥٣م) بما يفيد اعتراف أوغندا بالتزاماتها الواردة بتلك الخطابات، باعتبار أنها وُقِّعت خلال عهد الاستعمار؛ حيث إن أوغندا عام ١٩٩١م كانت دولة مستقلة ذات سيادة، وقد أكدت واعترفت صراحة بسريان التزاماتها الواردة بالخطابات المتبادلة بين عام ١٩٤٩-١٩٥٣م.

### الإطار العام للتعاون بين مصر وإثيوبيا

وفي عام ١٩٩٣م تم الاتفاق على إطار عامّ للتعاون بين مصر واثيوبيا؛ ينص هذا الاتفاق التعاوني بين الطرفين على امتناع الطرفين عن القيام بأيّ نشاط يتعلق بمياه النيل يمكن أن يضر على نحو محسوس بمصالح الطرف الآخر، بما يعني أن هذا الاتفاق يؤكد بوضوح، وبما لا يدع مجالًا للشك، حماية الاستخدامات السابقة لكل من مصر واثيوبيا، كما أكّد هذا الاتفاق على حماية مياه النيل والحفاظ عليها، والتعاون والتشاور بخصوص المشروعات المشتركة، وبما يساعد على تعزيز مستوى تدفق المياه وتقليل الفاقد منها.

وتمسكت مصر خلال جميع مراحل التفاوض على الاتفاق بضرورة عدم مساس هذا الاتفاق الجديد بالاتفاقيات السارية.

وأكدت مصر على ضرورة وضع نصّ صريح يضمن عدم المساس بحصة مصر من مياه النيل وحقوقها التاريخية، والإخطار المسبق عن أيّ مشروعات تقوم بدول أعالي النيل واتباع إجراءات البنك الدولي في هذا الشأن، وضرورة أن يكون تعديل هذا الاتفاق والملاحق بالإجماع وليس بالأغلبية، وفي حالة الأغلبية يجب أن تشمل دول المصبّ (مصر والسودان).

وتبلغ حصة مصر من مياه النيل حوالي ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويًا، في مقابل ١٨ مليار متر مكعب للسودان من مجموع ٨٤ مليار متر مكعب هي مجموع تدفق مياه النيل سنويًا، إضافة إلى حوالي (١٥٠ مليار متر مكعب أخرى تتبخر بفعل الحرارة سنويًا)، تريد مصر ألا تتأثر حصتها المذكورة والمنصوص عليها مطلقًا من جراء ملء سد النهضة الذي تقوم إثيوبيا حاليًا بإنشائه؛ تجنبًا لأي أضرار أو حدوث مجاعات أو انخفاض في إنتاج الكهرباء من السد العالي.

وقد رفضت إثيوبيا الاقتراح المصري بأن تقدم إثيوبيا ٤٠ مليار متر مكعب سنويًا على

مدى سبع سنوات، وهي الفترة المقترحة لملء السد، وبقاء مستوى المياه في سد أسوان عند ١٦٥ مترا فوق سطح الأرض.

### المصالح والتحديات أمام مصر وإثيوبيا

ولو نظرنا نظرة فاحصة للخلف عندما وقعت الحكومة البريطانية ممثلة لإقليم شرق إفريقيا، اتفاقا مع الحكومة المصرية يضمن تدفق خمسة وخمسين ونصف مليار متر مكعب من المياه لمصر سنويًا محتسبة ما لا يقل عن ألف متر مكعب من المياه للفرد سنويًا، وكان المتوسط وقتها للفرد على نطاق العالم هو ٧٢٣٠ مترًا مكعبًا سنويًا، ومع ذلك كانت تلك الكمية آنذاك أكثر من كافية لتعداد الشعب المصري الذي كان يبلغ وقتها ١٥ مليون نسمة، في حين أن شعب مصر يزيد الآن على مائة مليون مواطن، مما أدخل مصر في مرحلة الفقر المائي الذي يُعرض أراضيها وزراعتها للخطر المحدق، وحياة شعبها، لا سيما أن مصر ليس لديها بدائل من أمطار أو مياه جوفية أو مصادر أخرى تسد بها احتياجاتها، ومن هنا كانت الخطورة.

وفي نفس الوقت الذي بات يُدرك فيه الإثيوبيون أن كميات كبيرة من المياه تغادر أراضيهم دون تحقيق منافع منها، ووفقا لهذا التكوين في الرؤيا بدؤوا في تشييد شبكة من السدود، وفي مقدمتها سد النهضة.

وكما هو مخطط في الوقت الحاضر فإن البحيرة وراء سد النهضة ستخزن أربعة وسبعين مليار مترًا مكعبًا من المياه خلال التسرُّب وفقدان مليار من الأمتار بسبب التبخر والحرارة.

إضافة لذلك فإن إثيوبيا تخطط لبناء أربعة سدود مساعدة على المنبع للحد من انجراف التربة، وهي سدود سوف تخزن حوالي ٢٠٠ مليار متر مكعب.

وهنا يضحى من الطبيعي أن تشعر مصر بأن مخصصاتها من المياه لن تأتي كما كانت من قبل، لا سيما وأن ٨٦٪ من مياه النيل تأتي من إثيوبيا بما يضع حياة ملايين المصريين في خطر مُحدق.

وكانت دائمًا تلوح في الآفاق أثناء المفاوضات أهم نقاط الخلاف، وهي المتعلقة بفترة ملء الخزان، حيث كانت تتحدث إثيوبيا عن عامين، فيما ترى مصر أن الفترة المقبولة لملء الخزان هي سبع سنوات، وترتبط مخاوف مصر بفكرة الجفاف وانقطاع الأمطار التي يتعرض لها النيل الأزرق في إثيوبيا خلال بعض الفترات كما حدث في الفترة من عامي ١٩٧٩م و١٩٨٧م، والمعروف أن النيل الأزرق يمر بثلاث دورات كل عشرين عامًا؛ حيث تعرف السنوات الأولى بهطول الأمطار الغزيرة، والثانية تكون متوسطة، والثالثة وكما تسمى بـ«السبع العجاف»، والتي ينخفض فيها نسبة هطول الأمطار فيستحيل من خلالها الملء، لما سيسببه ذلك من جفاف ودمار لا يحتمل وليس له بديل، ومطالبة مصر بألا يقل منسوب خزان السد العالي خلال سنوات الملء عن ١٦٥ مترا مكعبًا، وأن ذلك هو الحد الأدنى للتخزين، وهو الحد الذي يحمي مصر من فترات الجفاف، ولا تعرض كهرباء السد العالي لانخفاضات كثيرة.

إضافة إلى ذلك طلبت مصر من إثيوبيا ٤٠ مليار متر مكعب سنويًا من مياه النيل الأزرق، بخلاف مياه النيل الأبيض ونهر عطبرة، خاصة أن مياه النيل الأزرق إيرادها السنوي خمسون مليار متر مكعب.

### نهر النيل وما يمثله في حياة المصريين

ومع تعقد الأزمة بين مصر وإثيوبيا، فإنه تجدر الإشارة إلى ما يمثله نهر النيل في حياة المصريين؛ ففي يقين المصريين أن نهر النيل نهرٌ من أنهار الجنة، فقد أخبرنا المولى تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار؛ حيث قال تعالى: «وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (البقرة: ٢٥)، وقال سبحانه: «أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا» (الكهف: ٣).

وقد حدثنا رسولنا الكريم عن أنهار الجنة حديثًا واضحًا، ففي إسرائه صلوات الله وسلامه عليه: «رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهَرَانِ الْبَاطِنَانِ، فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ». (صحيح مسلم: ٧١٦).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» (صحيح مسلم: ٢٨٣٩). ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها، كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها.

وقيل في معاني تلك الأحاديث: «إنما جُعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم، ولتضمنها البركة الإلهية، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها». ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ» (الكوثر: ١)، وقد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ -أَوْ طِيبُهُ- مِسْكٌ أَذْفَرُ». (صحيح البخاري: ٦٢١٠).

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن كثير عن نهر النيل أنه النهر الذي ليس له في أنهار الدنيا نظير في خفته ولطافته وبُعد مسراه فيما بين مبتدئه إلى منتهاه. وقال ابن سينا: إن له خصوصيات دون سائر مياه الأرض؛ منها أنه أبعدها مسافة من مجراه إلى أقصاه، وأنه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال، ومنها أنه لا يخضر فيه حجر ولا حصاة، وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته، وأن زيادته في أيام نقص سائر الأنهار والعكس.

إن النيل يُمثَل لأهل مصر مكانة مهمة، تقوم على مياهه حياتهم ومأكلهم ومشربهم، وبالتالي فهو بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت.

### السيناريوهات البديلة لمصر في مواجهة أزمة سد النهضة

بعد تأزم الموقف حينما أعلن رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد في برلمان بلاده في الآونة الأخيرة أنه على استعداد لحشد مليون مقاتل فيما أسماه حرب الدفاع عن سد النهضة؛ تحوَّل الأمر إلى ساحة للسخرية والتندر على صفحات التواصل الاجتماعي، وذهب البعض إلى أن آخر مرة حارب فيها هؤلاء كانت حرب الفيل، وانهزموا بطير أبابيل، فيما وصلت الأمور لدى البعض الآخر إلى المقارنة بين الجيش المصري ونظيره الإثيوبي؛ باعتبار أن جيشنا المصري هو العاشر على مستوى العالم، وتبارت بعض القنوات الفضائية في استضافة العسكريين المتقاعدين ليؤكدوا على أن مصر حصلت على حاملتي الطائرات «ميسترال»، والطائرات الرافال لتأمين حقوقها المائية.

ومن الخيار العسكري إلى خيار التدويل إلى اللجوء للتحكيم الدولي؛ لأن المسألة إذا كانت تعني لإثيوبيا مسألة تنمية، فإنها تعني لمصر مسألة حياة ووجود، وهنا تحولت دفة الحوارات الإعلامية إلى خبراء العلاقات والقوانين الدولية، الذين أكدوا أن اللجوء للتحكيم الدولي لن يجدي؛ لأنه يجب أن يكون بموافقة الأطراف الثلاثة مصر والسودان وإثيوبيا، فيما أكد هؤلاء أن دخول طرف رابع في المفاوضات مثل الولايات المتحدة الأمريكية

لن يحقق المصلحة المصرية، وذلك لوجود إسرائيل كشريك في تمويل وبناء وتأمين السد، ومن المعروف العلاقات الحميمية بين أمريكا وإسرائيل.

فكان المقترح الآخر هو اللجوء لروسيا كطرف رابع، وبالفعل عُقدت القمة الإفريقية الروسية في منتجع «سوتشي»، برئاسة الرئيس المصري بوصفه رئيسًا للاتحاد الإفريقي، وبحضور رئيس الوزراء الإثيوبي الذي اعتذر للرئيس المصري عن تصريحاته حول حشد المليون مقاتل، وبدت الأمور خلاله ودية متفائلة.

وهنا يأتي السؤال الأهم، وهو: ماذا بعد أن اعتذر رئيس الوزراء الإثيوبي للرئيس المصري، وقال له نصًا: «لن نكمل سد النهضة أو التخزين إلا بالتنسيق مع مصر»، ثم أعلن عن استئناف المفاوضات بجدول زمني تنشر نتائجه أولًا بأول، وهل رئيس الوزراء الإثيوبي هذا يملك عصًا سحرية لتطويع جميع الأطراف لصالحه، وهذا السؤال تحديدًا طرحه الكثيرون من الخبراء في الشئون العسكرية، وإننا لنتساءل: من يقف خلف الرجل مع إسرائيل التي تتغلغل أياديها في كل إفريقيا، وخاصة مع إثيوبيا مزاحمة لمصر في علاقاتها مع الدول الإفريقية، وكيف استطاع آبي أحمد في أيام قليلة أن يقضي على مشاكله مع جيران إثيوبيا بعد عقود من الخلافات، وكيف اقتحم الشأن السوداني لينزع فتيل الأزمة في لحظات، ثم تحرك إلى جنوب السودان، وكيف استطاع توكيد العلاقة المتينة بينه وبين الإسرائيليين، وحصل منهم على منظومة الصواريخ التي لا يمنحها الصهاينة لأحد، ثم بدون مقدمات يحصد جائزة نوبل للسلام، ثم يعلن موقفه المتشدد من سد النهضة بعد ضمان تحييد البيئة العملياتية المحيطة، من البحرية بالبحر الأحمر، والأرضية بالسودان شماله وجنوبه، ثم يعتذر ويتراجع، ويفتح الباب للطمأنة.

وهذه كلها تساؤلات تستحق النقاش.

إن الجانب الإثيوبي كان قد تعهَّد بعدم المساس بحصة مصر من المياه من قبل، ولكنه تراجع عن هذه التعهدات، ونقض كافة المقترحات المصرية التي تدعو إلى ملء السد في غضون سبع سنوات وليس ثلاث سنوات؛ باعتبار أن الملء في ثلاث سنوات الذي تتمسك به إثيوبيا يشكّل تهديدًا لأمن مصر المائي، بينما يرى الجانب الإثيوبي أن هذا الأمر قرار سيادي من اختصاصها فقط.

والأدهى من ذلك أن إثيوبيا قد رفضت مناقشة قواعد تشغيل سدَ النهضة، وأصرت على قصر التفاوض على مرحلة الملء، بما يخالف المادة الخامسة من نص اتفاق إعلان المبادئ الذي تم توقيعه في ٢٣ مارس ٢٠١٥م، كما يتعارض مع الأعراف المتَّبعة دوليًا للتعاون في بناء وإدارة السد على الأنهار المشتركة.

المرحلة التالية تقتضي اتخاذ مسار قانوني عن طريق مجلس الأمن الدولي لوقف البناء حتى يتم تقييم سلامة السد الإنشائية لتجنُّب مخاطر انهياره، ولتقييم تداعياته المائية والبيئية على مصر والسودان، مع رصد المخالفات الإثيوبية لمعاهدة ١٩٠٢م، واتفاقية الأمم المتحدة للأنهار المشتركة وإعلان المبادئ.

فيما تتمثل الخطوة الثالثة في تسوية الأوضاع في السودان، ووضع إطار واضح للعمل والتفاوض بخصوص سد النهضة في إطار اتفاق ١٩٥٩م.

ومع ذلك فإن سياسة مصر ستبقى للحظات الأخيرة تقوم على العمل على مساعدة دول حوض النيل والدول الإفريقية في التنمية والتعاون المشترك في كل المجالات، مع التمسك بحقها في حقوقها من مصدر الحياة نهر النيل.

فاللهم احفظ مصر من كل مكروه وسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# سُورَةُ الفَتْحِ

## الحلقة التاسعة

**قال تعالى:** « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » **(الفتح: ٢٦-٢٧).**

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

« إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ »: وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية، إذا كان ذا غضب وأنفة.

قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا. فهذه حمية الجاهلية، التي دخلت قلوبهم. (معالم التنزيل: ٥/١٨٨).

« فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين »: يقول تعالى ذكره: فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين، « وألزمهم كلمة التقوى » وهي قول لا إله إلا الله، التي يتقون بها النار وأليم العذاب، « وكانوا أحق بها »، يقول تعالى ذكره: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين، « وأهلها »، يقول: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين، وذكر أنها في قراءة عبد الله: « وكانوا أهلها وأحق بها »، « وكان الله بكل شيء عليما »، يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله بكل شيء ذا علم، لا يخفى عليه شيء هو كائن، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم، لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه. (جامع البيان: ٢٦/١٠٤-١٠٦).

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم

يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفوس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى! أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» قال لا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإنك آتيه ومطوف به» وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة، ولهذا قال تبارك وتعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله» هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء.

وقوله عز وجل: «آمنين» أي في حال دخولكم. وقوله: «محلقين رءوسكم ومقصرين» حال مقدرة، لأنهم في حال حرمهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره، وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «والمقصرين» في الثالثة أو الرابعة. (صحيح البخاري ١٧٢٧).

وقوله سبحانه وتعالى: «لا تخافون» حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد، وهذا كان في عمرة القضاء، في ذي القعدة سنة سبع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم، وخرج في صفر إلى خيبر، ففتحها الله عليه، بعضها عنوة، وبعضها صلحا، وهي إقليم عظيم كثير النخل والزروع، فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم، ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وأبو موسى الأشعري وأصحابه رضي الله عنهم، ولم يغب منهم أحد، قال ابن زيد رحمه الله: إلا أبا دجانة سماك بن خرشة، كما هو مقرر في موضعه ثم رجع إلى المدينة.

فلما كان في ذي القعدة سنة سبع خرج صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية، فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي، قيل: كان ستين بدنة، فلبى وسار أصحابه يلبون. فلما كان صلى الله عليه وسلم قريبا من مر الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيل والسلاح أمامه، فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا، وظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم، وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين، وذهبوا فأخبروا أهل مكة، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن يأجج، وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قربها كما شارطهم عليه. فلما كان في أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال: يا محمد! ما عرفناك تنقض العهد! فقال صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك؟» قال: دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح! فقال صلى الله عليه وسلم: «لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج». فقال: بهذا عرفناك بالبر والوفاء، وخرجت رؤوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه رضي الله عنهم غيظا وحنقا. وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان، فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله وأصحابه، فدخلها صلى الله عليه وسلم وبين يديه أصحابه يلبون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى، وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية، وقوله تعالى: «فعلم ما لم تعلموا» أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموه أنتم. «فجعل من دون ذلك» أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم «فتحا قريبا» وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

## التطبيق المعاصر للزكاة

# أحكام مؤسسات الزكاة المعاصرة

### الحلقة الأخيرة

إعداد
**أ.د. حسين حسين شحاتة**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

من المقاصد السامية للزكاة تطهير القلوب، وتزكية النفوس، وإصلاح الصدور، كما أنها تحقق التضامن والتكافل الاجتماعي بين الناس، فلا يقتصر أثرها الطيب على الأفراد فقط، بل تعالج المجتمع من أمراضه المختلفة، وهذا نلاحظه في المنهج الرباني العظيم في توزيع حصيلتها، حيث تحقق التنمية الاجتماعية والاقتصادية وكذلك العزة السياسية للمسلمين، وهذا لن يتحقق إلاَ إذا وُزِّعت بالحق، ومُنعَت من الباطل، ويعني ذلك الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في جبايتها وصرفها.

**أحكام توزيع حصيلة الزكاة على مصارفها الشرعية:**

يُثار سؤال عند توزيع حصيلة الزكاة على المصارف الثمانية، وهو: كم يُعطى لكل مصرف؟، وهل من الضروري أن توزَع الحصيلة على كل المصارف بالتساوي؟ وهل هناك أحكام شرعية يجب أن يلتزم بها ولي الأمر ونائبه في عملية التوزيع؟

ليس هناك رأي واحد متفق عليه في هذا الشأن؛ حيث إن عملية تحديد وحساب وتوزيع حصيلة الزكاة يختلف من زمان إلى زمان، ومن حال إلى حال، وعلى ولي الأمر ونائبه المنوط بتوزيع حصيلة الزكاة أن يُعمِل رأيه في ضوء القيم والشرع والخبرة والبصيرة ومشاورة أهل الحل والعقد، ولكن هناك أحكام عامة يمكن الاستعانة بها؛ من أهمها ما يلي:

(١) المعرفة والدراية بأحوال المصارف الثمانية من حيث الضرورة والحاجة.

(٢) الالتزام بالأولويات الإسلامية: حيث يُعطى الأولوية لتوفير الضروريات ثم الحاجيات، فمن هم دون الكفاف أو قريبون منه أولى ممن هم دون حد الكفاية، ومن هم داخل البلد الذي حُصلت منه الزكاة أولى ممن هم في بلد آخر إذا تساوت الحاجة، ومن هم في حاجة إلى حفظ النفس أولى ممن هم في حاجة إلى حفظ العرض، وهكذا.

(٣) عدم التركيز على مصرف واحد دون المصارف الأخرى مع حاجة الجميع إلى الزكاة، فلا يجب أن توجه كل حصيلة الزكاة إلى الفقراء والمساكين وتُترك المصارف الأخرى، أو توجه الحصيلة كلها إلى مصرف الجهاد في سبيل الله مع عوز المصارف الأخرى.

(٤) عدم توجيه أموال الزكاة إلى غير المسلمين الفقراء أو لتأليف قلوبهم إلا بعد كفاية المسلمين.

(٥) الرشد والاعتدال في نفقات جباية وتوزيع حصيلة الزكاة، بلا إسراف ولا تقتير.

(٦) الأخذ بالأسباب في الاستعلام عن مستحقي الزكاة: حتى لا تُوضع الزكاة في غير موضعها.

### موازنة الزكاة: الموارد والمصارف:

لأغراض تطبيق أحكام ومصارف الزكاة السابقة على الوجه السليم يقوم ولي الأمر أو نائبه بإعداد موازنة الزكاة، والتي تتضمن الموارد محلّلة حسب مصادرها المختلفة، والمصارف مُحلّلة حسب مجالات الصرف، وتحقيق التوازن بينهما بقدر الإمكان.

وأحيانًا قد تزيد الموارد عن المصارف لأسباب مختلفة، فيمكن ترحيل الفائض إلى السنة التالية، ولا سيما إذا كانت بعض أموال الزكاة مخصصة لمصرف مؤجل صرفه، أو يوظف في مشروعات استثمارية، تملك للفقراء والمساكين ويشغل بها العاطلون.

وأحيانًا قد تقل الموارد عن المصارف، وفي هذه الحالة يمكن لولي الأمر أو نائبه التوظيف على أموال الأغنياء بالقدر الذي يغطي ذلك العجز بضوابط شرعية سبق الإشارة إليها.

### أحكام إنفاق أموال الزكاة في تمويل شراء آلات ووسائل الحرفة للفقراء والمساكين المحترفين:

من بين الفقراء والمساكين، فئة المحترفين الذين يُتْقِنُون صنعة أو حرفة معينة، ولكن ليس لديهم آلات وأدوات الحرفة أو الصنعة، فلقد أجاز الفقهاء أن يُعطى للمحترف مالٌ يشتري به أدوات حرفته: بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته، فقد ورد في المجموع للنووي: "ومن كان خياطًا، أو نجارًا، أو قصارًا، أو قصابًا، أو غيرهم من أهل الصنائع أعطي ما يشتري به صنعته أو حصة في صَنْعته تكفيه على الدوام".

### ومن التطبيقات المعاصرة لهذه الحالة ما يلي:

- شراء آلات وأدوات حرفة للنساء الفقيرات المحترفات صَنْعَةً واللاتي لا يستطعن الخروج ويمكنهن العمل داخل البيت، وبذلك يتم تحويلهن إلى قوة منتجة.
- شراء آلات وأدوات الحرف والصناعات الصغيرة للشباب الفقير العاطل لتحويله إلى قوة منتجة من خلال نظام القرض الحسن بدلاً من القروض الربوية والقروض المشتبه فيها التي تعطى لهم من الجهات الأجنبية عبر الصندوق الاجتماعي للتنمية ونحوه.
- شراء آلات وأدوات الحرف ونحوها للمعاقين الفقراء وتدريبهم على ممارسة حرفة، ويقاس على ذلك كل من اللاجئين، والمعتقلين، والسجناء.

ومن الآثار الاقتصادية الهامة لتمويل وسائل الحرفة للفقراء المحترفين من الزكاة، تحويلهم من طاقة عاطلة إلى قوة اقتصادية إنتاجية سوف تتحول بعد فترة إلى دافعي زكاة.

### أحكام إنفاق أموال الزكاة في إقالة عثرة رجال الأعمال:

يدخل في نطاق الغارمين من أثقلته الديون شريطة أن يكون سبب المغرم مشروعًا، أو أنه

تاب وتحققت توبته، ودليل ذلك ما روى مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " أقم يا قبيصة حتى تأتينا الصدقة فنأمر بها لك" الحديث.

من التطبيقات المعاصرة لمصرف الغارمين ما يلي:

٢- رجال البر والإحسان العاملون في مجال الخدمات الاجتماعية العامة والدعوة والإغاثة وترتب على ذلك ديون فيمكنهم أن يأخذوا من مال الزكاة.

٢- رجال الأعمال الذين أصابتهم مصائب أو أزمات، وترتب على ذلك ديون تكاد تخرجهم من حلبة النشاط الاقتصادي، ويترتب على ذلك أضرار جسيمة بهم وبالدائنين وبالاقتصاد القومي بصفة عامة. فإقالتهم من هذه العثرة من مال الزكاة يحقق منافع اقتصادية وكذلك لا تلجئه إلى التعامل بالربا.

ولقد وضع الفقهاء مجموعة من الشروط لمن تُعطى له الزكاة من سهم الغارمين من أهمها ما يلي: أن يكون في حاجة إلى ما يقضي به الدين، وأن يكون قد استدان في طاعة أو في أمر مباح، إلا إذا تاب توبة صادقة. وأن يكون الدين حالاً، وأن يكون شأن الدين مما يحبس فيه.

### أصول التطبيق المعاصر للزكاة

يقوم التطبيق المعاصر للزكاة على مجموعة من الأصول المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية، والتي تمثل المعايير أو المقومات عند التطبيق، والتي تساعد في وضع دستور الزكاة، من أهمها ما يلي:

الأصل الأول: الزكاة فريضة شرعية، وعبادة مالية، والركن الثالث من أركان الإسلام من أنكرها فهو كافر، ومن منعها فهو مسلم عاص، يستوجب تعزيره.

الأصل الثاني: من مقاصد الزكاة: التربية الروحية، والتنمية الخلقية، والعدالة الاجتماعية، الرفاهية الاقتصادية، والقوة السياسية، وتساهم في حفظ مقاصد الإنسان الخمس: الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

الأصل الثالث: الزكاة من أعمال السيادة، يقع على ولي الأمر مسئولية جبايتها وتوزيعها في مصارفها الشرعية، فإن أخلَّ أو لم يقم بها فيأثم، ولا تسقط عن المزكين.

الأصل الرابع: الزكاة حق معلوم محدد وفق قواعد وأحكام، في مال معلوم تتوافر فيه شروط معينة، وتُدفع في مواقيت محددة حسب نوع المال وحال المزكي.

الأصل الخامس: تجب الزكاة في المال متى توافرت فيه شروط الخضوع، على المسلم الحر، والأصل أنه تؤخذ من الأغنياء فتردَ على مستحقيها.

الأصل السادس: يُفرض على غير المسلمين الجزية أو "الضريبة"، حسب الأحوال، ويمكن أن يوجد بالدولة بجوار الزكاة نظام للضرائب بضوابط شرعية، ولا يجوز الامتناع عن أداء الزكاة بدعوى أداء الضريبة فالزكاة شيء والضريبة شيء آخر.

الأصل السابع: للزكاة مصارف محددة، ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وهذه المصارف هي: للفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل.

الأصل الثامن: وجوب التعجيل بأداء الزكاة، وعدم تأخيرها إلا لضرورة معتبرة شرعًا.

الأصل التاسع: يجب إنشاء مؤسسات زكوية، تقوم بكافة أعمال الزكاة من جباية وتوزيع باعتبارها من مسؤوليات ولي الأمر، وتعتبر جزءًا من النظام المالي الإسلامي.

الأصل العاشر: يجب أن يكون لمؤسسات الزكاة هيئة فتوى ورقابة شرعية من مهامها التأكد من صحة تطبيق فقه الزكاة والفتاوى الصادرة في الأمور المعاصرة؛ ففي ذلك طمأنينة للمزكي ولمستحقي الزكاة. وبهذا ننتهي من مباحث التطبيق المعاصر للزكاة، ونبدأ في موضوع آخر في العدد القادم إن شاء الله.

**والحمد لله رب العالمين.**

# من أخلاق حَملة القرآن

## التثبُّت في الرواية، وقوَّة الحفظ

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:**

**مازلنا بحمد الله وتوفيقه نطالع سيَر أهل القرآن، ونقلّب صفحات من كتاب (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار)، للإمام الذهبي رحمه الله.**

الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي: روى عنه أبو بكر بن عياش أنه قال: "ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زرّ، وكان زرّ قد قرأ على ابن مسعود، فقلت لعاصم: لقد استوثقت (صفحة ١٠).

وقال عاصم رحمه الله: "مرضت سنتين فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفًا"(صفحة ٧٨).

وأما أبو بكر بن عياش (شعبة) الراوي عن عاصم فيقول: "ختمت على عاصم ثلاث ختمات، وقال: فلقد فارقت عاصمًا وما أسقط من القرآن حرفًا". (صفحة ١٤١).

مجاهد بن جبر: قال: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات؛ أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟".

يحيى بن الحارث الذماري الغساني الدمشقي (ت ١٤٥): "خلف شيخه ابن عامر بدمشق في الإقـراء، لما كبر سنّه كان يقف خلف الأئمة لا يستطيع أن يوم، فكان يرد عليهم إذا غفلوا". (صفحة ١٠٥).

بقلم **د. أسامة صابر**

الإمـام تـاج الديـن زيـد بـن الحسن أبـو اليمن الكندي البغدادي (ت٦١٣): قال عنه الذهبي: "تلقن القرآن من أبي محمد سبط الخياط، وله نحو من سبع سنين، وهـذا أمر نـادر، وأنـدر منه أنه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشرة أعوام، وما علمت هـذا اتفق لأحـدٍ، وأعجب من ذلك أنه عُمِّر الدهر الطويل وانفرد في الدنيا بعلوّ الإسناد في القراءات، وعاش بعد أن قرأها بعدة كتب ثلاثًا وثمانين سنة، وهذا شيء لا نظير له في الإسلام"(صفحة ٦٢٨).

### نصائح معينة على إتقان الحفظ:

١- الإخلاص والدعاء والمجاهدة: قال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ) (العنكبوت: ٦٩).

٢- التمهل في حفظ الجديد، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قل، وكان من السلف من يحفظ خمس آيات أو عشر آيات لا يجاوزهن، فليست العبرة بالحماس المؤقت الذى يعقبه فتور وانقطاع، وإنما الثمرة مع طول الملازمة.

٣- تحديد ورد المراجعة اليومي، وتحديد وقت له ومقدار.

٤- العرض على الشيوخ المتقنين، واستذكار القرآن مع الرفقة الصالحة.

٥- القراءة بالمحفوظ في صلاة الليل.

٦- التركيز على الأخطاء المتكررة وتدوينها

والاعتناء بتصحيحها.

٧- الاستفادة من الكتب التي صُنِّفت في المتشابهات.

٨- القراءة في كتاب تفسير ميسر.

٩- تدبر القرآن والعمل بما فيه من شرائع وأحكام.

### ملاحظة:

من الكتب المفيدة في ذلك كتاب "الإيقاظ لتذكير الحُفَّاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ" لفضيلة الشيخ جمال عبد الرحمن، وكتاب "قصد السبيل إلى الجنان ببيان كيف يُحفظ القرآن"، لفضيلة الشيخ الدكتور ابراهيم الشربيني.

### حلاوة التلاوة:

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن: صفحة ٨١): "قال العلماء رحمهم الله: فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها؛ ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفًا أو أخفاه فهو حرام".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به" (صحيح البخاري: حديث رقم ٧٥٤٤).

قال الحافظ ابن كثير: "ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويُحسِّنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية" (كتاب: فضائل القرآن صفحة ٨٣، تفسير ابن كثير ط دار ابن الجوزي).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه (صحيح البخاري: ٧٦٩).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود" (صحيح البخاري: ٥٠٤٨، صحيح مسلم: ٧٩٣).

يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي (ت ١٠٣هـ): قال عنه الأعمش: "كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة، وكان إذا قرأ لم تحسَّ في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد" (معرفة القراء الكبار: صفحة ٤٥).

الإمام عاصم: قال عنه أبو بكر بن عياش: "كان عاصم أحسن الناس صوتًا بالقرآن، حتى كأن في حنجرته جلاجل" (صفحة ٧٧).

ورش عثمان بن سعيد (ت ١٩٧هـ)، قال عنه يونس بن عبد الأعلى: "كان جيد القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهمز، ويمد، ويشدد، ويبين الإعراب، لا يمله سامعه" (صفحة ١٧٣).

سبط الخياط عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي (ت ٥٤١هـ): "كان أطيب أهل زمانه صوتًا بالقرآن على كبر سنِّه، قال عنه أبو سعد السمعاني: "كان شيخًا متواضعًا متوددًا، حسن القراءة في المحراب، ولا سيما ليالي رمضان، كان يحضر عنده الناس لاستماع قراءته، وقال عنه أحمد بن صالح الجيلي: لم أسمع في جميع عمري من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أصح منه" (صفحة ٥٣٤-٥٣٥).

الحسن بن أبي الحسن أبو علي البغدادي المقرئ الضرير (ت ٥٩٧هـ): كان يصلي التراويح فيزدحم الخلق خلفه؛ لطيب صوته وصحة أدائه، وقال النجار: "لم أسمع قارئًا أطيب صوتًا منه ولا أحسن تجويدًا" (صفحة ٦٣١-٦٣٢).

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال. اللهم آمين.

# من أجلّ سمَات العابدين: الافتقار لربّ العالمين

بقلم

**د. مرزوق محمد مرزوق**

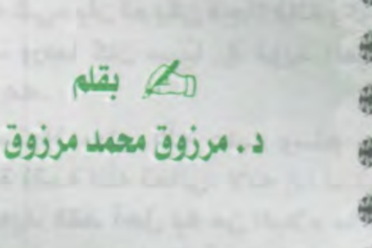

الحمد لله مسدي النعم، دافع النقم، مجيب الدعوات، ومقيل العثرات، والصلاة والسلام على خير البريات وآله وصحبه والتابعين والتابعات ومن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض والسموات، وبعد: فمع حديث جليل عظيم النفع:

### الحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

### ثانيا: التخريج

الحديث أخرجه الإمام مسلم، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، برقم ٢٧٣٩. وأبو داود في سننه برقم ١٥٤٥.

### فائدة:

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث في صحيح مسلم: «وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عبيد الله بن عبدالكريم أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ أَحَدِ حُفَّاظِ الْإِسْلَامِ، وَأَكْثَرِهِمْ حفظًا، وَلَمْ يَرْوِ مُسْلِمٌ في صَحِيحِه عَنْهُ غَيْرَ هذا الْحَدِيثِ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ مُسْلِم. تُوُفِّيَ بَعْدَ مُسْلِمٍ بِثَلَاثِ سِنِينَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ».

### مفردات الحديث:

- (زوال نعمتك): النعمة: أي: النعم الظاهرة والباطنة؛ لأنه مفرد مضاف يفيد العموم.

- (تحوُّل عافيتك): أي: تبدُّل العافية بضدها من عافية إلى مرض وبلاء، والفرق بين الزوال والتحوّل: أن الزوال: ذهاب الشيء من غير بدل، والتحوّل: إبدال الشيء بالشيء كإبدال الصحة بالمرض،

والغنى بالفقر.

- (فجاءة نقمتك): الفجأة: البغتة، والنقمة: العقوبة.

- (وجميع سخطك): السخط: الكراهية للشيء، وعدم الرضا به، وهي صفة من صفات الله الفعلية العظيمة التي تليق به جلّ وعلا، وهي لا شك ليست كصفاتنا؛ كما قال الله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى:١١). (ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ص٣٢٢).

### المعنى الاجمالي للحديث:

- مِنْ لُطْفِ الله سُبحانه وتعالى بالعَبْدِ إدامَةُ النعمة عليه، وعدم زوال العافِيَة عنه، وابْتِعادِ النِّقَم المفاجِئة عنه، وحِفْظِه مِن جَميعِ سُخْطِ الرَّبِّ سُبحانه وتعالى.

قال المناوي رحمه الله في « فيض القدير» (١١٠/٢): « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك»؛ أي ذهابها، ويعم النعم الظاهرة والباطنة، والاستعاذة من زوال النعم، تتضمن الحفظ عن الوقوع في المعاصي؛ لأنها تزيلها.

«وتحول عافيتك»؛ أي: تبدُّلها، فكأنه سأل دوام العافية، وهي السلامة من الآلام والأسقام.

«وفجاءة نقمتك»: بغتة غضبك وعقوبتك .

«وجميع سخطك»: أي سائر الأسباب الموجبة لذلك، وإذا انتفت أسبابها حصلت أضدادها » انتهى

(ينظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ص٤٢١).

### الشرح:

هذا حديث عظيم اشتمل على هذه الجمل الأربع:

- اللهم إني: يعني يا الله، والميم عوض عن يا النداء في قوله: يا الله. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.

- قوله: «اللَهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ»: الاستعاذة هي طلب العوذ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد (٢٠٠/٢): «اعلم أن لفظ عاذ وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه»، وهذا يشمل جميع النعم التي ينعم الله بها على العبد، فيسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيده منها، وأعظم النعم نعمة الإسلام، ولهذا يشرع للعبد أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبته عليه، وأن يزيده منه.

- قوله: وتحوُّل عافيتك»؛ أن تتحول من حال إلى حال.

- قوله: «وفجاءة نقمتك»؛ فجأة النقمة أو فجاءة النقمة من بلاء أو مصيبة يأتي على فجأة بخلاف ما إذا سبقه شيء بأن لم يكن فجأة فإنه يكون أخف، وربما كان سببًا في توبة العبد ورجوعه.

واستعاذ صلى الله عليه وسلم من فجاءة نقمة الله تعالى؛ لأنه إذا انتقم من العبد فقد أحلّ به من البلاء ما لا يقدر على دفعه، ولا يُستدفع بسائر المخلوقين، وإن اجتمعوا جميعًا» (ينظر: تحفة الذاكرين للشوكاني رحمه الله ص٤٢١).

- «قوله: وجميع سخطك»، وهذا أيضًا من أعظم الدعوات أن يستعيذ

العبد من جميع سخطه سبحانه وتعالى، وأعظم سخطه أن يأتي العبد ما حرَّم الله، وأن يشرب قلبه من فتن الدنيا التي ما أكثر ما يختبر بها الإنسان لا سيما في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة.

كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول: «كنَّا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قومٌ: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعْنُونَ فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة؛ ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموجُ موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القومُ، فقلت: أنا، قال: أنت، لله أبوك! قال حذيفة: سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَضُ الفتن على القلوب؛ كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكت فيه نكتةٌ سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرْبادًّا؛ كالكوز مُجخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هواه» (أخرجه مسلم).

ولذلك يلجأ العبد إلى ربه أن يَقِيَه هذه الآثام، وأن يحبب إليه الإيمان، وتلك لعمر الله من أعظم النعم كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧). [وينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠)، شرح الشيخ عبدالمحسن الزامل على بلوغ المرام).

**مما يستفاد من الحديث**

- من أجل القُربات أن يفتقر العبد إلى رب الأرض والسموات.

- من أعظم النعم التي يخشى المسلم من فواتها نعمة الإسلام.

- الأفضل في الدعاء أن ندعوا بالمأثور؛ فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فضلاً عن هداية الله لنبيه لخير الهدى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَمِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَيْبًا: مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمَأْثُورٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ حِزْبًا لِبَعْضِ الْمَشَايِخِ، وَيَدَعُ الْأَحْزَابَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ، وَإِمَامُ الْخَلْقِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ» انتهى من «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٢٥).

- من نعم الله على الإنسان أن يستقيم أمره وتدوم عافيته.

- من أعظم أسباب سلب النعم أن يستهين العبد بأمر مولاه أو يفرط في هدي نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

قال ابن القيم: «وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته؛ فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيِّرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١)، ومن تأمل ما قصَّ الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم؛ وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل

عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب.

فما حُفظَتْ نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس، ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له» انتهى.

- نعمة العافية من أعظم النعم بعد نعمة الإيمان والإسلام، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع، قال: قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ» (متفق عليه).

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤ / ١٩٧) تعليقًا على الحديث المذكور: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة».

وروى البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل سأله عن أفضل الدعاء: «سَلِ اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ في الدنيا والآخرة، سَلِ اللهَ العفْوَ والعَافِيَةَ في الدنيا والآخرة؛ فإذا أعطيتَ العافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحْتَ».

- ويتضح من جملة الحديث ما أوتي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم.

**فائدة:**

من سمات المفتقر إلى الله أن يقر بنعم مولاه، وذلك مفهوم من دعائه صلى الله عليه وسلم.

وما أجمل ما نظمه شيخ الإسلام في بيان افتقار العباد لرب الأرض والسموات، ونختم به قال:

أنا الفقير إلى رب البريات
أنا المسيكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي
والخير إن يأتنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة
ولا عن النفس لي دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يدبرني
ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي
إلا بإذن من الرحمن خالقنا
إلى الشفيع كما قد جاء في الآيات
ولست أملك شيئًا دونه أبدًا
ولا شريك أنا في بعض ذرات
ولا ظهير له كي يستعين به
كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصفُ ذات لازم أبدًا
كما الغنى أبدًا وصف له ذاتي
وهذه الحال حالُ الخلق أجمعهم
وكلهم عنده عبدٌ له آتي
فمن بغى مطلبًا من غير خالقه
فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه
ما كان منه وما من بعد قد ياتي
والحمد لله رب العالمين.

# درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

## القسم الثاني

الحلقة (٨٦)

إعداد/ علي حشيش

**٨٠٢- «خذوا شطر دينكم عن الحُمَيْرَاء».**

الحديث لا يصح: أورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٢/٨) وقال: «فأما ما يلهج به كثيرٌ من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد هذا الحديث، فإنه ليس له أصل، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام، وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي؟ فقال: لا أصل له». اهـ.

ولقد أكد ذلك الحافظ ابن كثير في «تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب» (ص١٤١) الحديث (٥٤) قال: «هو حديث غريب جدًا، بل منكر سألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي فلم يعرفه، وقال: لم أقف له على سند إلى الآن، وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: هو من الأحاديث الواهية التي لا يُعرف لها إسناد». اهـ .

قلتُ: وأورده الإمام السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (ح٢١٠) وقال: لم أقف عليه، ونقل كلام الحافظ ابن كثير». اهـ.

قلتُ: وأما قول الحافظ ابن كثير في لهج كثير من الفقهاء وعلماء الأصول بإيراد هذا الحديث، وهذا اللفظ من ابن كثير يدل على اشتهار هذا الحديث؛ حيث لهج بالأمر لهَجًا: أولع به، فثابر عليه واعتاده، ولذلك من صنف في الأحاديث المشتهرة أورد هذا الحديث، فعلى سبيل المثال لا الحصر أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح٤٣٢)، وهو من المشهور غير الاصطلاحي؛ حيث لا أصل ولا يُعرَف له سند.

أما عن لهج كثير من الفقهاء وعلماء الأصول بهذا الحديث؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أورده الإمام القرافي المتوفى (٦٨٤) في «نفائس الأصول في شرح المحصول» (٢٢٩٧/٥، ٢٧٢٨/٦)، وكذلك الآمدي في «الإحكام في أصول الأحكام» (٢٤٨/١).

**٨٠٣- «المؤمن لا يكون صمته إلا فكرًا، ونظره إلا عبرةً، ونطقه إلا ذكْرًا».**

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٠٩/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

**٨٠٤- «أفضل الحسنات تكرمة الجلساء».**

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤٦/٢) (ح١٢٨٥) ط مؤسسة الرسالة

بيروت، من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وعلته محمد بن منصور التستري وهو شيخ القضاعي، قال أبو إسحاق الحبال الحافظ: «كذاب» كما في «الميزان» (٨٢١٣/٤٨/٤) للإمام الذهبي، وفي «اللسان» (٤٤٧/٥) (٨٠٦٧/١٢٨٢) للحافظ ابن حجر.

**٨٠٥- «لا يستديرُ الرَّغيفُ ويوضعُ بين يديكَ، حتَّى يعملَ فيه ثلاثمائة وستُّونَ صانعًا أوَّلُهم ميكائيلُ عليه السَّلامُ، الَّذي يكيلُ الماءَ من خزائنِ الرَّحمة، ثمَّ الملائكةُ الَّتي تُزجي السَّحابَ، والشَّمسَ والقمرَ، والأفلاكَ، وملائكةُ الهواءِ ودوابُّ الأرض، وآخرُهم الخبَّازُ».**

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٩١/٣) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث لا يستدير الرغيف..» الحديث لم أجد له أصلاً.

ونقل الإمام القاري في كتابه «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ح٤٠٣) قول الحافظ العراقي وأقره.

**٨٠٦- «فإذا رفعتَ رأسَك فلا تُقعِ كما يُقعِي الكلبُ، ضَعْ أليتَيْك بين قدمَيْك، وألْزِقْ ظاهرَ قدمَيْك بالأرض».**

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (ح٨٩٦) من حديث العلاء أبي محمد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره.

وعلته العلاء أبو محمد، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٧٣٠/٩٩/٣): «العلاء بن زيد الثقفي بصري عن أنس بن مالك يكنى أبا محمد تالف. قال ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال أبو حاتم والدارقطني: متروك، وقال البخاري وغيره: منكر الحديث، وقال ابن حبان: روى عن أنس نسخة موضوعة». اهـ. قلت: فقد ذكره الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٨٠/٢) وقال: «العلاء بن زيدل يروي عن أنس بن مالك بنسخة موضوعة لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل التعجب». اهـ. وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٢٠/٥) (١٣٧٥/٤٠٧): حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: العلاء بن زيدل أبو محمد الثقفي عن أنس روى عنه يزيد بن هارون: منكر الحديث». اهـ.

**فائدة:** ما ذكرناه هو تطبيق عملي لمعنى مصطلح: «منكر الحديث» عند الإمام البخاري، ولذلك قال الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» (ص٨٩): قول البخاري «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

**فائدة أخرى:** حول نقد المتن في هذا الحديث الموضوع، حيث جاء به «وألزق ظاهر قدميك بالأرض»، وهو مخالف للسنة، فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٤٩٨) من حديث عائشة: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى».

**٨٠٧- «من قرأ في الفجر بألم نشرح، وألم تر كيف، لم يرمد».**

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح١١٦٢)، وقال: «لا أصل له». اهـ.

**٨٠٨- «إنَّ لكُلِّ شيءٍ نسْبةً، وإنَّ نسْبةَ الله قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ».**

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٢/١) (ح٧٣٦) ط. المعارف بالرياض من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته الوازع بن نافع، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٨٨): «منكر الحديث». اهـ. وهذا المصطلح قد بيَّنا معناه في الفوائد التي ذكرناها، وبه تبين شدة ضعف هذا الحديث، ولذلك ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٣٢٠/٣٢٧/٤)، ونقل أن يحيى بن معين قال: «ليس بثقة، وأن النسائي قال: متروك، وأن أحمد قال: ليس بثقة». اهـ.

### الحلقة الثامنة والعشرون

# فقه المرأة في الزكاة

**إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: انتهينا بفضل الله تعالى من الأحكام المتعلقة بالمرأة في باب الجنائز، ونشرع-بإذن الله تعالى- في باب الزكاة، فأسأل الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

## أولًا: تعريفها:

الزكاة في اللغة: النماء والطهارة والبركة، يقال زكا يزكو زكاء وزكوًا، ويقال زكّى يزكي تزكية، ومنه قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» (التوبة: ١٠٣)، وتطلق الزكاة على الصلاح، يقال رجل تقيٌّ زكيٌّ، ورجال أتقياء أزكياء، وتطلق أيضًا على المدح، قال تعالى: «فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ» (النجم: ٣٢) أي لا تمدحوها. (لسان العرب ج١٤ ص٣٥٨؛ المعجم الوسيط ج١ ص٣٩٦؛ تهذيب اللغة ج١٠ ص١٧٥).

## الزكاة شرعًا:

عرفها الحنفية بأنها: تمليك جزء مال عيَّنه الشارع، من مسلم، فقير، غير هاشمي، ولا مولاه، بشرط قطع المنفعة عن الملك من كل وجه، لله تعالى. (الدر المختار ج٢ ص٢٨٧؛ البحر الرائق ج٢ ص٢١٦؛ تبيين الحقائق ج١ ص٢٥٢).

وعرفها المالكية بأنها: اسم لقدر من المال، يخرجه المسلم، في وقت مخصوص، لطائفة، بالنية. (مواهب الجليل ج٢ ص٢٥٥).

وعرفها الشافعية بأنها: اسم لقدر مخصوص، من مال مخصوص، يجب صرفه لأصناف مخصوصة. (السراج الوهاج ج١ ص١١٦).

وعرفها الحنابلة: بأنها حق يجب في المال. (المغني ج٢ ص٢٢٨).

وفي التعريفات تقارب كبير يفيد بأنها مال مخصوص يخرجه المسلم لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.

## ثانيًا: حكمها:

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمس وفرض من فروضه، وهي واجبة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع أمته.

وقد ذكرت الزكاة في آيات كثيرة مقرونة بالصلاة. قال تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ» (البقرة: ٤٣).

قال تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» (المزمل: ٢٠).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا على اليمن، قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض

عليهم زكاةً من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس». أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

### ثالثًا: زكاة حلي المرأة:

**الأدلة على وجوب زكاة الحلي:**

١- قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة: ٣٤-٣٥).

٢- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». أخرجه مسلم (٩٨٧).

٣- عن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها «أتعطين زكاة هذا؟ قالت: لا، قال: أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار». قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله. (صحيح أبي داود (١٥٦٣)، وأحمد (٦٩٠١).

٤- عن عائشة قالت: «دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتخات من ورق فقال: ما هذا يا عائشة، فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، قال: أتؤدين زكاتهن؟، قلت: لا أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار». انظر صحيح أبي داود (١٥٦٥).

### بعض الآثار الواردة عن التابعين في إيجاب زكاة الحلي:

١- عن عبد الحميد بن جبير أنه سأل ابن المسيب أفي الحلي: الذهب والفضة زكاة؟ قال: نعم، قال: قلت: إذن يفنى، قال: ولو». أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٠٩٠).

٢- عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال «الزكاة في الحلي في كل عام». أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٠٨٤).

بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في عدم إيجاب زكاة الحلي:

عن عمرو بن دينار قال: سألت جابر بن عبد الله عن الحلي، هل فيه زكاة، قال: لا. قلت إن كان ألف دينار؟ قال: الألف كثير». أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٠٧٦).

عن عائشة «أنها كانت لا تزكيه». أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٧٥).

عن نافع عن ابن عمر قال: «ليس في الحلي زكاة». أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٠٧٧).

تنازع الفقهاء في هذه المسألة، فذهبت طائفة إلى وجوب الزكاة في الحلي، وحجتهم الأحاديث والآثار الصحيحة التي جاءت بذلك كما تقدم، وأيضًا لم يرد دليل على استثناء الحلي من عموم الأدلة الواردة في وجوب زكاة الذهب والفضة، وهذا مذهب الحنفية وبعض الحنابلة وابن حزم وغيرهم.

وخالفهم في ذلك آخرون، قالوا لا زكاة في الحلي، واستدلوا لقولهم بالآثار الصحيحة التي جاءت عن الصحابة في ذلك، وأيضًا استدلوا ببعض الأحاديث التي ضعفها أكثر أهل العلم، وفيها عدم وجوب الزكاة في الحلي.

وهذا مذهب مالك والشافعي والمشهور من مذهب أحمد.

### ونذكر أقوال الفقهاء في المسألة:

### أولا: القائلون بوجوب زكاة الحلي:

جاء في فتح القدير (٢/٢٢٣، ٢٢٤): مضت السُّنة أن في الحلي الذهب والفضة الزكاة، وفي المطلوب أحاديث كثيرة مرفوعة غير أنا اقتصرنا منها على ما لا شبهة في صحته، والتأويلات المنقولة عن المخالفين مما ينبغي صون النفس عن أخطارها والالتفات إليها".

وجاء في معالم السنن (٢/١٥): "باب زكاة الحلي: بعد أن ذكر أدلة كل فريق، قال: قلت: الظاهر من الكتاب يشهد لقول من أوجبها والأثر يؤيده ومن أسقطها ذهب إلى النظر ومعه طرف من الأثر، والاحتياط أداؤها، والله أعلم".

قال ابن حزم في المحلى (٤/١٩١): "قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إيجاب الزكاة في الذهب عمومًا ولم يخص الحلي منه بسقوط

الزكاة فيه، لا بنص ولا بإجماع، فوجبت الزكاة بالنص في كل ذهب وفضة، وخص الإجماع المتيقن بعض الأعداد منهما وبعض الأزمان، فلم تجب الزكاة فيهما إلا في عدد أوجبه نص أو إجماع وفي زمان أوجبه نص أو إجماع، ولم يجز تخصيص شيء منهما، إذ قد عمهما النص، فوجب أن لا يفرق بين أحوال الذهب بغير نص ولا إجماع وصح يقينًا - بلا خلاف- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوجب الزكاة في الذهب والفضة كل عام والحلي ذهب وفضة، فلا يجوز أن يقال «إلا الحلي» بغير نص في ذلك ولا إجماع. وبالله تعالى التوفيق".

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/٥٣٣) بعد أن ذكر حديث المرأة التي أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنتها وفي يديها سوارين، ثم ذكر حديث عائشة كما تقدم قال: "والحديث دليل على وجوب الزكاة في الحلية".

جاء في الشرح الممتع (٦/١٣٣، ١٣٤): "فإن قال قائل: بماذا نجيب عن أدلة القائلين بعدم الوجوب قلنا نجيب بما يلي:

أما حديث «ليس في الحلي زكاة» فإنه حديث ضعيف لا تقوم به حجة، فضلاً عن أنه يعارض عموم الحديث الصحيح، ثم إن المستدلين به لا يقولون بموجبه، فلو أخذنا بموجبه لكان الحلي لا زكاة فيه مطلقا، وهم لا يقولون بذلك، فيقولون: إن الحلي المعد للإجارة أو النفقة فيه الزكاة، وهذا معناه أننا أخذنا بالحديث من وجه وتركناه من وجه آخر، وهذا لو صح الحديث.

وأما ما روى الصحابة الخمسة فهو لا يقاوم عمومات الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما أن هناك دليلا خاصًا في الموضوع وهو حديث المرأة التي معها ابنتها، فإنه نص في الموضوع ولا عبرة بقول أحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما القياس: فهو مع الفارق ومتناقض، أما كونه قياسًا مع الفارق ومتناقض، فلأن الأصل في الذهب والفضة وجوب الزكاة وليس الأصل في الفرس والعبد والثياب وجوب الزكاة فكيف نقيس ما أصله الزكاة على شيء الأصل فيه عدم الزكاة، وأما كونه متناقضًا فكما يلي: لو كان له عبد قد أعده للأجرة، فليس فيه زكاة، ولو كان عنده خيل للأجرة فليس فيها زكاة، ولو كان عنده حلي للأجرة ففيه زكاة، وإذا لا يصح القياس.

ثم استدل بعموم الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الزكاة في الحلي كما تقدم في الباب.

### ثانيا: القائلون بعدم وجوب زكاة الحلي:

جاء في الموطأ (١/١٧٩): "فأما التبر والحلي المكسور، الذي يريد أهله إصلاحه ولبسه، فإنما هو بمنزلة المتاع يكون عند أهله، فليس على أهله فيه زكاة".

قال الشافعي في الأم (٢/٥٧): "وللمرأة أن تتحلى ذهبًا وورقًا، ولا يجعل في حليها زكاة من لم ير في الحلي زكاة. قال الشافعي: وإذا اتخذ الرجل أو المرأة إناء من ذهب أو ورق زكياه في القولين معًا. فإن كان إناء فيه ألف درهم قيمته مصوغًا ألفان، فإنما زكاته على وزنه لا على قيمته. وإذا انكسر حليها فأرادت إخلافه أو لم ترده فلا زكاة فيه في قول من لم ير في الحلي زكاة، إلا أن تريد إذا انكسر أن تجعله مالا تكتنزه فتزكيه".

قال المرداوي في الإنصاف (٣/١٢٥؛ ١٢٦): "قوله: «لا زكاة في الحلي المباح المعد للاستعمال في ظاهر المذهب» وهو المذهب وعليه أكثر الأصحاب، وعنه تجب فيه الزكاة، قال في الفائق: وهو المختار، وعنه تجب فيه الزكاة إذا لم يُعر ولم يلبس".

### تعقيب وترجيح

والأرجح بعد ذكر هذه الأقوال والمذاهب، هو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو ما ذهب إليه الحنفية وبعض الحنابلة والإمام ابن حزم ومن المعاصرين العلامة ابن عثيمين من وجوب الزكاة في الحلي، ومن أظهر ما استدل به الأحاديث التي جاءت صحيحة صريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إيجاب زكاة الحلي والتي ذكرناها في المسألة، ولا يجوز رد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بالاجتهاد وإن كان من الصحابة وهذا مجمع عليه من أهل العلم، ولا يجوز القياس مقابل النص كما تقرر في الأصول، والله تعالى أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

# فضائل تدبُّر القرآن وتلاوته

**إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:**

إعداد: الشيخ: أحمد طالب بن حميد
خطيب المسجد النبوي الشريف

## القرآن الكريم عصمة وهداية وبركة:

ياعباد الله: أنزل الله-عز وجل- القرآن على نبيه-صلى الله عليه وسلم- وأعلمَه فضل ما أنزل عليه، وأعلمَ خَلْقَه في كتابه وعلى لسان رسوله أن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وهُدَى لمن اهتدى به، وغنى لمن استغنى به، وحرْز من النار لمن اتبعه، ونور لمن استنار به، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ثم أمَر الله الكريمُ خلقَه أن يؤمنوا به ويعملوا بمُحْكَمه فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه ويعتبروا بأمثاله، ويقولوا: (ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) (آل عمران: ٧).

ثم وعدهم على تلاوته والعمل به النجاة من النار والدخول إلى الجنة، ثم ندب خلقه إذا هم تلوا كتابه أن يتدبروه ويتفكروا فيه بقلوبهم، وإذا سمعوه من غيرهم أحسنوا استماعه، ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل، ثم أعلم خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم فأنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة، قال الله-تبارك وتعالى-: ( إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ

(٣٢) جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ (٣٣) وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ) (فَاطر: ٢٩-٣٥)، وقال عز وجل: ( إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا (٩) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ) (الإسْرَاء: ٩-١٠)، وقال سبحانه: ( وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ) (الإسْرَاء: ٨٢)، وقال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٥٧) قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ) (يُونس: ٥٧).

## الأمر بالتدبر والعمل بكتاب الله

وقال سبحانه: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ) (الزُمَر: ٢٣)، وقال عز من قائل: ( كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ) (ص: ٢٩)، وقال سبحانه: ( وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ) (طه: ١١٣).

## للمستمع بإحسان للقرآن الكريم أجر عظيم:

ثم إن الله-تعالى- وعد لمن استمع إلى كلامه فأحسن الأدب عند استماعه بالاعتبار الجميل، ولزوم الواجب لاتباعه، والعمل به أن يبشره-عز وجل- منه بكل خير، ووعده على ذلك أفضل الثواب، قال عز وجل: (فَبَشِّرۡ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ) (الزمر: ١٧-١٨)، فكل كلام ربنا حسن لمن تلاه ولمن استمع إليه، وانما هذا صفة قوم إذا سمعوا القرآن يتبعون من القرآن أحسن ما يتقربون به إلى الله، ممَّا دلهم عليه مولاهم الكريم، يطلبون بذلك رضاه، ويرجون رحمته، سمعوا قول الله-تعالى-: ( وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ) (الأعْرَاف: ٢٠٤)، فكان حسن استماعهم يبعثهم على التذكر فيما لهم وعليهم، وسمعوا الله-تبارك وتعالى- يقول: (فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ) (ق: ٤٥).

وقد أخبرنا الله-عز وجل- عن الجن في حسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة، قال الله-عز وجل-: (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا (١) يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ) (الجنّ: ١-٢)، وقال عز وجل: (وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٣٠) يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ) (الأحْقَاف: ٢٩-٣١)، وقد قال الله-عز وجل- في سورة ق والقرآن المجيد، ما دلنا على عظيم ما خلق من السماوات والأرض، وما بينهما من عجائب حكمته في خلقه، ثم ذكر الموت وعظيم شأنه، ثم ذكر النار وعظيم شأنها، ثم ذكر الجنة وما أعد فيها لأوليائه فقال عز وجل: ( لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ) (ق: ٣٥)، ثم قال بعد ذلك كله: ( إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ) (ق: ٣٧)، فأخبر جل ذكره أن المستمع بأذنيه ينبغي له أن يكون مشاهدًا بقلبه ما يتلو وما يسمع؛ لينتفع بتلاوته

للقرآن وبالاستماع لمن يتلوه.

ثم إن الله-عز وجل- حثّ خَلْقَه على أن يتدبروا القرآن فقال: ( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) (مُحمَّد: ٢٤)، وقال عز وجل: ( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) (النِّساء: ٨٢)، ألا ترون- رحمكم الله- إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه، عرف الرب-عز وجل- ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحَذرَ ممّا حذَّرَه مولاه، ورَغبَ فيما رغّبَه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعزّ بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيرُه؛ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، عن ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: «لا تنثروه نَثْرَ الدَّقَل، ولا تهزوه هز الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همه أحدكم آخر السورة».

### أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

عباد الله: يقول الله-تبارك وتعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ) (التَّوْبَة: ١١٩)، وقال عز وجل: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ) (البَقَرَة: ١٢١)؛ أي: يتبعونه حق اتباعه، تلاوة جَنان، وتلاوة لسان، وتلاوة أركان، يعرفون حروفه ووقوفه، ويعملون به حق عمله، وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لله من الناس أهلون، قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"، وقال صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، وقال عليه الصلاة والسلام: "أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق، فيأتي كل يوم بناقتين كوماوين زهراوين؛ أي: سمينتين مائلتين إلى البياض، فيأخذهما في غير إثم ولا قطع رحم؟ قالوا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك. قال: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث له خير من ثلاث، وأربع له خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل"، وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"، وقيل لابن عباس-رضي الله عنهما-: "أي العمل أفضل: قال: ذكر الله أكبر، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يتدارسون فيه كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله-تعالى- ما داموا فيه، حتى يخوضوا في حديث غيره".

هذا وصلوا وسلموا-عباد الله- على خير خلق الله محمد بن عبد الله، فقد أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ( إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) (الأحزاب: ٥٦)، فاللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن آل بيت نبيك الطيبين الطاهرين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

# أحداث مهمة وقعت في شهر ربيع

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

**الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورًا، لكن الظالمين أبوا إلا كفورًا، والصلاة والسلام على إمام الشاكرين وسيد الذاكرين وخاتم النبيين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛**

فبعد مرور شهر ربيع الأول لنا معه وقفة، فقد كان له خصوصية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وليوم الاثنين فيه خصوصية أكثر؛ ففيه وُلد النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه هاجر، وفيه أُنزل عليه الوحي، وفيه قُبض إلى الرفيق الأعلى. روى مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن صيامه يوم الاثنين، فقال: «هذا يوم وُلدتُ فيه، ويوم بُعثتُ فيه- أو قال-: أُنزل عليَّ فيه».

أما بخصوص شهر ربيع فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك وقوع أربعة أحداث مهمة كان عليها مدار ما حدث من تغيير في حياة العرب خاصة، والعالم بأسره عامة، وهذه الأحداث على الترتيب كما يلي:

١- مولده صلى الله عليه وسلم.

٢- هجرته من مكة إلى المدينة.

٣- وفاته صلى الله عليه وسلم.

٤- ولاية أبي بكر رضي الله عنه.

وسنحاول فيما يلي الحديث عن شيء من التفصيل، وبيان ما بينها من ترابط وتلازم، وبالله التوفيق:

**أولاً: ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وحاجة العالم إليه:**

١- تحقيق تاريخ الميلاد، واليوم، والشهر والسنة:

أما العام فقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد أن الإجماع يكاد ينعقد على أنه عام الفيل، وبه قال ابن إسحاق في السيرة، وكذلك قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور، وقال الدكتور أكرم ضياء العمري في «السيرة الصحيحة» (١/٦٧): «والحق أن الروايات المخالفة كلها معلولة الأسانيد، وقد أثبتت دراسات حديثة قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون أن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في عام الفيل الموافق (٥٧٠/٥٧١) للميلاد».

أما اليوم فهو يوم الاثنين، وقد ذكرنا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي قتادة بهذا الشأن، والمشهور أن الميلاد كان يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وقد حقق بعض الباحثين أن مولده صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول الموافق لشهر أبريل عام ٥٧١ للميلاد، ونقل الأستاذ محمد الخضري صاحب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» أن الأستاذ محمود باشا عالم الفلك المصري المعروف، والمتوفى في عام ١٨٨٥م ذكر أن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في التاسع من ربيع، وأكد على ذلك صاحب الروض الأنف، وصاحب الرحيق المختوم، وصاحب نور اليقين، وغيرهم، والله سبحانه أعلى وأعلم.

٢- أما حاجة العالم إلى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته، فهذا أمر دلت عليه النصوص الصحيحة والواقع الذي كان يعاني منه العالم عمومًا وجزيرة العرب على وجه الخصوص، ورائدنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم

في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «وان الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم جميعًا: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. (جزء من حديث في صحيح مسلم، برقم: ٢١٩٧).

وفي الحديث إشارة إلى عموم الفساد في أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا قليلة من أهل الكتاب؛ مثل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم من رهبان النصارى الذين كانوا يؤمنون بأن عيسى عبدَ الله ورسوله، وأنه قد قَرُبَ زمان النبي الخاتم الذي سيبعث في مكة ويهاجر إلى المدينة، وكان آخرهم هو الذي أرشد سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يذهب إلى بلاد العرب وإلى المدينة مُهَاجَر النبي الذي قرب زمانه والموصوفة عندهم بقرية ذات نخل بين حَرَّتَيْن، فكان العالم في أمَسّ الحاجة إلى رحمة الله المهداة: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر الله بهذه الرحمة في قوله تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ » (الأنبياء:١٠٧).

وقد صدق شوقي رحمه الله حين وصف العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومولده، فقال:

أتيت والناس فوضى لا تمرُّ بهم
إلا على صنم قد هام في صَنمِ
والأرض مملوءةٌ جورًا مسخرةٌ
لكل طاغية في الناس محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كِبْر أصمُّ عمِ
يعذبان النَّاس في شُبهٍ
ويذبحان كما ضحيت بالغنمِ
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبَلَم

وقد أبدع شوقي وصدق في وصف الفوضى التي كانت تَعُمّ العالم آنذاك، وسيطرة الفرس والروم على العالم، ومنه جزيرة العرب، نعم كان سلطان الفرس مبسوطا على شمال جزيرة العرب، وكان سلطان الروم مبسوطا على جنوبها والعرب هم وقود الصراع بين الدولتين، وفي وسط الجزيرة يتحكم اليهود في تجارة السلاح ويستفيدون من الحروب التي تقع بين القبائل على أتفه الأسباب، بل ويساهمون في إيقادها وخصوصًا في يثرب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وقد لخص جعفر بن أبي طالب أخلاق الجاهلية في حوار مع النجاشي، فقال: «أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والعفاف والصلة». رواه أحمد في المسند من حديث أم سلمة رضي لله عنها في حديث في قصة المهاجرين إلى الحبشة.

وهذه الكلمات الصادقة الموجزة تُلخِّص أحوال العرب قبل الإسلام، كما تُلخِّص دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق، والتي أكّدها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». (أخرجه مالك في الموطأ، والبخاري في المفرد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٧٥).

والنبي صلى الله عليه وسلم إنما وُلد ليُبْعَث لإخراج الأميين من الظلمات إلى النور، ثم العالم بأسره إلى صراط الله العزيز الحميد.

قال الله تعالى: « هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ② وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ » (الجمعة:٢، ٣). وقال تعالى: « الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ » (إبراهيم:١).

### ثانيًا: الهجرة من مكة إلى المدينة:

لما كانت الغاية من ميلاد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم هي إرساله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، تولى الله أمر نبيه في كل مراحل حياته، ولخص ذلك في قوله تعالى: « وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ④ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ⑤ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ » (الضحى:١-٧).. إلى آخر السورة وسورة الشرح بعدها.

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على

بصيرة هو ومن آمن معه، حتّى إذا اشتد أذى قريش وحربهم على الإسلام، هيّأ الله للرسول والذين آمنوا معه في المدينة النبوية مكانًا صالحًا لنشر الدعوة وأنصارًا على ذلك، وأمر الله المؤمنين بالهجرة إلى المدينة، ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك.

«وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من داره إلى دار صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، ثم خرجا معًا إلى غار ثور في ليلة السابع والعشرين من صفر في السنة الأولى من الهجرة الموافق الثالث عشر من سبتمبر سنة ٦٢٢من الميلاد، ثم خرجا من الغار في غُرة ربيع الأول، وكان يوم إثنين، ثم وصلا بعون الله ورحمته إلى قباء بالمدينة النبوية يوم الإثنين الثامن من ربيع الأولى الموافق للثالث والعشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد». (الرحيق المختوم).

وقد وثّق الله سبحانه وتعالى هذا الحدث في كتابه الكريم واعتبره نصرًا، فقال سبحانه: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى هذا الحدث بالتحديد نصرًا؛ لأن الله كان معه ومع صاحبه بالحفظ والرعاية والنصر والتأييد؛ إذ آخرجه من بين أيدي المتربصين به صلى الله عليه وسلم والمحتشدين أمام باب داره لينقضوا عليه بضربة واحدة، فأغشاهم الله وأعمى أبصارهم، فخرج من بينهم ووضع على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه؛ ثم نصره عندما اجتمعوا أمام باب الغار ولو نظر أحدهم تحت قدمه لرأى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، لكنّ الله صرفهم عنهما؛ فهذا نصرٌ بدفع الأعداء عنه وعن صاحبه، ثم أمّنه في الطريق حتّى وصل إلى المدينة.

والهجرة كانت نصرًا؛ لأنها ليست مجرد هروب من الأعداء وليست مجرد الانتقال من مكة إلى المدينة، بل هي انتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام؛ فقد اجتمع في المدينة المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، وقد وصفهم الله سبحانه في الآيات التالية: «لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ٨-١٠).

فقد أسس في المدينة النبوية أول دولة للإسلام بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، وبوزارة صحبه الكرام، وفي المقدمة منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وغيرهم، نعم قد تأسست دولة لها مقومات الدولة في العصر الحديث؛ كيان سياسي وعسكري واجتماعي، وقد أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم بينما كانوا في مكة مستضعفين ولم يؤمروا بقتال، قال الله تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» (الحج: ٣٩-٤١).

وفي هذه الآيات الكريمة أذن الله للمسلمين في المدينة بعد الهجرة بالقتال لأول مرة في ظل الدولة الإسلامية الجديدة، ثم بيّن أن الله هو الذي ينصر من ينصره، ثم بينت الآيات أسباب النصر والتي تحققت جميعها في المجتمع الجديد الناشئ بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، أو قل الدولة الإسلامية الناشئة، وبهذا المفهوم أيضًا صارت الهجرة نصرًا؛ لأنه ترتب عليها ما حدث بعدها في بدر والأحزاب وقتال اليهود وإخراجهم من المدينة وفي خيبر والفتح وتبوك. وهكذا تمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا. وانتشر الدين في ربوع الجزيرة العربية، ومنها إلى العالم بأسره، ونحن ننتظر الجولة الأخرى للإسلام. «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (الصف: ٩)، ووعْد الله لا يتخلف وسيُظهر الله دينه الذي بعَث به رسوله الخاتم ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون، ونحن نثق في ذلك، ونسأل الله أن يجعلنا من جنده الموحدين، وأن يتوفنا مسلمين، وأن يُلحقنا بالصالحين. آمين.

وإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

# خطورة الأُمِّيَّة الدِّينيَّة

إعداد د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد تكلمنا على مدار فترة من الزمن عن الفكر ومسلَّماته ومجالاته، ونماذج يصح فيها إعمال الفكر، وذلك ردًّا على مَن يزعم أنه صاحب فكر سليم ويقترح تعديلاً في الثوابت.

لكن: ما سألنا مرة ما هي أسباب وجود هذا الفكر المأزوم؟ الفكر المصاب بأزمة ولابد من علاجه!!

هذا الفكر نشأ في بلاد المسلمين لأسباب نذكرها هنا باختصار، بغية معرفة هذه الأسباب ليتلاشاه من يريد ألا ينخدع، وكذا الرد على أصحاب هذه الأفكار المسمومة.

أتكلم اليوم معكم حول السبب الأول والذي سأطلق عليه: الأُمِّيَّة الدينيَّة وخطورتها.

الأمية: تعني: عدم معرفة القراءة والكتابة، وهكذا عرَّفها نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هكذا وهَكَذا وهَكَذا وعَقَدَ الإبْهامَ في الثَّالِثَةِ والشَّهْرُ هَكَذا، وهَكَذا، وهَكَذا يَعْنِي تَمامَ ثَلاثِينَ". (صحيح مسلم ١٠٨٠).

فإذا أضيف لها الدين أريد بها: عدم معرفة الدين والعلم به، وإن أحرز أعلى المراتب في الدرجات العلمية.

ومع ذلك فإن الله وصف الكافرين بأن لهم قلوبا لا يعقلون بها، كما في سورة الحج، ومعنى هذا أن الإنسان لو حاز أعلى المراتب العلمية في الدنيا، ولا يعلم شيئًا عن دين الله تعالى، فهو في أمية دينية.

الله سبحانه وتعالى جعل العقل شرطًا للتكليف؟ وذلك حتى يحصل الامتثال؛ لذا كان العلم من ضروريات التكليف؛ لأن الامتثال من المكلف مبني على علمه بما يُكلَّف به، وهذا ما يسمى عند أهل العلم بـ: أهلية الأداء.

والعلم أيها القارئ الكريم منه ما هو فرض عين ، ومنه ما هو فرض كفاية، فالأول: ما يتعين فعله من كل مكلف، وأما الثاني: ما إن فعله البعض سقط فعله عن الباقين.

فكل المسلمين مطالبون بحدّ معين من العلوم الدينية، لا تنفك عنهم، وهي:

العبادات: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج.

وأقصد بالزكاة: أي التي تخص كل واحد على حسب نوع المال الذي يمتلكه، فيجب عليه العلم بكيفية إخراج زكاته.

وإذا دخل في تجارة لا بد أن يعلم ما ينبغي عليه فيها من أحكام، لكن للأسف الجهل بشرائع الإسلام، وتصدُّر من لا أهلية له في ذلك ليتكلم في دين الله تعالى ساعد كثيرًا في انتشار الأمية الدينية بين المسلمين.

وقد يجهل المتكلم المُتصدِّر للكلام بالشيء نفسه، وقد يجهله ويتصوره على خلافه.

فالأول يسميه العلماء: الجهل البسيط.

والثاني: الجهل المركب.

ويضرب العلماء المثل بهذين النوعين في قصة، أذكرها باختصار لبيان نوعي الجهل.

دخل رجل يُلقب بـ: «حكيم بغداد»، على القاضي يشتكي السوق، ولما سأله ولماذا شكواك؟ رد قائلاً: لم أجد فيه بُغيتي! فقال القاضي: ما بُغيتك؟ قال: أريد أن أشتري حمارًا غير هذا! غير الحمار الذي كان معه. فاستغرب القاضي وسأله عن أوصاف الحمار الذي يريد، فأجاب بأوصاف لا تكون في حمار، فقال القاضي: انتظر حتى يُمْسَخ قاضي المدينة حمارًا فأشتريه لك، وكان حاجب القاضي شاعرًا، فأنشد قائلاً:

قال حمارُ الحكيم تُومَا
لَو أنصَفَ الدهرُ كنتُ أركبْ
لأنّني جاهلٌ بسيــطٌ
وصاحبِي جاهلٌ مُركَّــبْ

مع اعتراضي على الشطر الثاني من البيت.

إلا أن الشاعر أراد أن يصور لنا أن هذا الملقب بالحكيم جهله مركب، ما عنده علم بحقيقة الحمار، ولما وصفه للقاضي وصفًا غير موجود.

وهكذا أغلب من يتحدث في الدين -إلا من رحم الله-، يساعد بجهله المركب على تصوير الدين عند الناس على غير حقيقته، فانتشرت الأمية الدينية.

رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم قسَّم المكلفين باعتبار علمهم بالأحكام الشرعية إلى صنفين، ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، والحرامَ بيِّنٌ، وإنَّ بينَ الحلالِ والحرامِ مُشبَّهاتٌ، لا يدري كثيرٌ من النَّاس أمِنَ الحلالِ هي، أم مِن الحرام، فمَن تركَها؛ استبرَأ لدينه وعرضه، ومَن واقعَها؛ يُوشكُ أنْ يُواقعَ الحرامَ؛ فمَنْ رَعى إلى جَنب حمًى، يُوشكُ أنْ يرتَعَ فيه؛ ولكُلِّ ملك حمًى، وإنَّ حمى الله محارمُه"(أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩ ).

فهناك أمور في الدين يعلمها الإنسان بأقل تعلُّم له للدين، وهناك أمور لا يتكلم فيها إلا أهل العلم.

فإذا طبقنا هذا الضابط لن تجد الدين كلأً مباحًا لكل الناس يتكلمون فيه بالطريقة التي نراها اليوم.

وهناك أيضًا عوامل كثيرة ساعدت المتفيهقين، فادعوا العلم زورًا وبهتانًا مما ساهم في انتشار الأمية الدينية، أو بمعنى أدق لقد وصلنا إلى هؤلاء بعوامل ساعدت على ذلك.

مثل تغيير مناهج التعليم الديني من أيام اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني آنذاك، وزيرة (دانلوب) الذي تقلَّد حقيبة التعليم في ذلك الوقت، فدخلنا في شباك التغريب عن ديننا وانطمست معالم التعليم الديني.

وأيضًا وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمشاهدة -كان ولا يزال- لها قصب السبق في هذا، فلا تكاد تجد للدين توقف وتعظيم عندهم إلا قليل -مقارنة بأمور أخرى-.

وأيضًا من يصعدون المنابر المفترض أنهم عامل رئيس في توعية الناس، ونجد للأسف أغلبهم يحتاج إلى توعية، كل هذا وغيره أدَّى إلى أن المسلمين افتقدوا الوسيلة للتعرف على هذا الدين بطريقة صحيحة، مما ساعد في انتشار الأمية الدينية والأفكار المتطرفة وغيرها.

مما زاد المجتمعات المسلمة جهلاً وبُعدًا عن دين الله تعالى.

فكانت هذه الأمية هي السبب الأول في انتشار ما يعرف بالمفكرين، ولما رأوا في أنفسهم الثورة على التكفير، فكروا في دين الله تعالى بل في ثوابت هذا الدين، وأخذوا على عاتقهم تمييع هذه الثوابت حتى ينفضَ الإنسان المسلم عن دينه بالكلية؛ جرَّاء مفكر لا فكر له.

أخيرًا:

هذا ما أردت ذكره باختصار في هذا الأمر، وفي المقال القادم بإذن الله تعالى نلتقي بكم مع سبب آخر.

سائلين الحق تبارك وتعالى أن نكون ممن يتعلمون دين الله الحق ثم يعرضونه للناس بحق.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين .

# بحارُ الفتنِ وسُفُنُ النّجاة

## فتنةُ المُقلِّينَ بالمُكثِرِينَ

(٤)

إعداد

**د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

**الحمد لله على نعمه أولا وأخيرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربُّه بالحقِّ شاهدًا ومبشرا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه ومن كان له مُعينًا وظهيرًا، ومن تبعه على دعْوته، وكان لها مواليًا ولأهلها هاديًا ونصيرًا.**

أما بعد: ففتنة المُقلِّين بالمُكْثرين أصبحتْ من المصائب الكبار، والمِحَن الغلاظ التي دبَّ في النَّاس داؤُها، وعَسُر بل استحال دواؤُها. والكلام في ذلك طويل الذَّيْل؛ لأنَّه أدْخلُ في أخْلاق الناس وأعْلقُ بطباعهم، وأكثر إظهارًا لأحوالهم، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "والصَّدقةُ بُرْهانٌ" أي: علامة على إيمان العبد؛ لأنَّ الإنفاقَ دليل الإيمان بالله واليوم الآخر، والشُّحَّ دليل ضعْف هذا الإيمان.

وهذه النوع من الفتن من أخطر أسباب افتتان الناس بعضهم ببعض؛ إذْ ينظر المُقلُّ إلى المُكْثر ويرمق الفقيرُ الغنيَّ، ويحسد المعوزُ المَكْفيَّ، ويحقد المُعْسر على الموسر.

وترى هذا في الناس باديًا فاشيًا؛ ولو رضي المُقلُّ وقنع الفقير، وسلِم المعوز، واستَسْلم المُعْسر لما وجدنا لهذه الفتنة خبرًا ولا عاينَّا لها أثرًا كما كان في عهد الصحابة؛ إذ كان فيهم أصحاب الأموال كعثمان وابن عوف وغيرهما، ومع هذا لم يجد أحد في نفسه شيئًا تجاه أخيه.

ولا ريْب أنَّ اشتغال النَّاس بهذه الفتْنة يُبْدي عوراتهم الباطنة، ويُظهر العيوبَ المُنْطوية عليها نفوسُهم.

### تلمُّحُ العواقِب يهوِّن الدُّنيا:

من ذكر المَنيَّة نسي الأُمْنيَة، ومَن تلمَّح عواقبَ الأمور وتدبَّر نهاياتها هان عليه ما فاتَهُ من الدنيا، وصبر بالفطام عن ما يَشتهي، ولم يعْبأ بشيء من الحُطام ولم يلْتَفتْ إليه إلَّا على سبيل الضَّرُورة لقضاء حوائج المَعاش ومصالحه.

بل تَجدُهُ قانعًا متورِّعًا، مُسْلمًا مسلمًا، مُتمَسِّكًا بالدِّين الثَّخين والورَع المَتين، ولو كانَ ثمَنُ ذلك أن يخطوَ على الدَّحْض ويَحْتسي غيرَ المَحْض.

إن المرء قد يجمع مالا ثم يَمُوت ويغادرُه قبل الانتفاع، وقد يوفر متاعًا ثم يتركه قبل الاستمتاع، وكل هذا يتركه للورثة بعده، وهذا حال من لم يعتبر بالأيام، ولم ينزجر بالملام، وهو الشقي الذي يجمع لغيره ويضنُّ على نفسه بخيره، وفي الحديث عن عَبْد الله بنِ مسعود قال: قالَ النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: "أَيُّكُمْ مَالُ وارثه أَحبُّ إِلَيْه منْ مَاله؟" قَالوا: يَا رَسُولَ الله، مَا منَّا أَحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أَحبُّ إِلَيْه، قَالَ: «فَإنَّ مَالهُ مَا قدَّمَ، وَمَالُ وارثه مَا أَخَّرَ" (رواه البخاري ٦٤٤٢).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ، قَالَ: " يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالي، مَالي، إنَّمَا لَهُ منْ مَاله ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سوَى ذَلكَ فَهُوَ ذَاهبٌ، وَتَارِكُهُ للنَّاس" (رواه مسلم: ٢٩٥٩).

وعَنْ أنس بْن مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجعُ اثْنَان وَيَبْقَى وَاحدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ

ويَبْقَى عَمَلُهُ" (رواه مسلم ٢٩٦٠).

فإن وجدت من نفسك حرصًا على الدنيا وقسوة في القلب، فاذهب إلى المقابر وهوِّن عليها عسير الحياة وهَجير الفتن ولظى الخلاف، وذكِّرها بقرب الرحيل، فستخضع لك، وإن لم يكن ذلك في أول المطاف وبداية الطريق فستجده وأنت سائرٌ إلى ربك كادحٌ إليه وساعتها سترتدي بالكفاف وتكتسي بالعفاف وأنت فرح مسرور.

## عبد الدينار والدرهم تعيس بئيس:

من علم فهم، ومن فهم سلم، فلو عقل من يعبد المال لعلم أنَّ حُطام الدنيا لا ينبغي بريُ القلم من أجله، فضلًا عن الدخول في لُجَّتها، وعبد الدينار تخدعه من الدنيا خدائعُها حتى تفوته ودائعُها فيرحل بغير الزاد إلى يوم المعاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ" (رواه البخاري ٢٨٨٧).

إن الذي يستعبده المال يَردُ أكثر ممَّا يصدُر، ويتطاول ويَجْهد جهدهُ ثم يُقصِّر، فقلبُه بغير الآخرة مشتغل وبالُه عن العاقبة متغفِّل، وهذا كلام لا يدفعه إلا من فيه شعبة من الجنون أو طاف به طائف من الوسواس، ومثل هذا كيف يعامل وهو في مثل هذا الإهاب؟!

والعجب في هؤلاء أن الواحد منهم يرى المحسنين ولا يلوم نفسه يومًا، ولا يتمنى أن يكون في صفهم، نعم لا يستحيل الشجاع جبانًا ولا يكون الجبان شجاعًا.

## حال البخيل المُمسك:

تجد هذا النوع من الناس في الإنفاق حريصًا على المال، وفي النفقة شديدُ التوقي ضعيفُ الإحسان والترقي، لا يعطي ولا يتصدق فهو قليل السَّكب بطيء العطاء وسيِّء السَّبك، لا يُستعان به في داهمة، ولا يُعين عند نازلة، ضيِّقُ الصدر عند بذل المال، بعيدُ العهد بالنفقة، إذا طُلب منه الإحسان أدركَه الجُبن، وغلبه الخَور، ولم تحمله قدماه إلا إلى الفرار، ولو زلَّت به القدم يومًا فاضطر إلى الإحسان يلوم نفسه كأنما سلقته ألسنةٌ حدادٌ، أو جابهه أحدٌ بالملامة وواجهه بالتوبيخ، وحينها يودُّ أن لو رآه الناس حتى يشهدوا على صدقته اليتيمة وعطيَّته السقيمة ومنْحته اللئيمة، وخلاصة القول: أنَّ البخيل حارسُ نعمته لورثته.

فهدى الله مَن علم منه الهدى، وجذَ عروقَ من غلبتْ عليه الشقوة منهم واستأصل شأفته وأراح البلاد والعباد من فتنته فقد عظمت البلية بهم، وعمت الآفة بسببهم.

## حال المؤمن المُنفق:

أمَّا المؤمن المُحتسب فهمَّته دائمًا تسمو إلى الكمال قد أكرمه الله بالمواهب السنيَّة والمنائح الهنيَّة يتخذ من الدنيا معبرًا إلى الآخرة فيأخذ من دنياه ما يُعينه على عمارة أخراه.

وتجده عند رؤية المُحتاجين ألطف من الهواء وعند معاينة المساكين أرقَّ من الماء فيتبسم وكأنما تفتَر فمُه عن ثغر باسم، وعند الحث على البر والإنفاق أغزر من بَحر وأندى من الغيث والغمام وأنفذ من السهام، ولن تجد خيرًا من هذه الطائفة ولا أخشع قلبًا ولا ألين جانبًا وأقرب حبًا.

لقد أثر ذكر المعاد في نفوسهم، وصارت له لِيطة بقُلوبهم، بل أصبح بَـرْدًا على الأكباد يَـرْوي الغُلة ويشفي العلَة ويردُ الروح.

وقد اقتدى في ذلك بالأنصار رضي الله عنهم الذين قال الله فيهم: « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (الحشر:٩).

وهـذا الصنف لا يـنـدم على سخائه ولا ينقطع عن بذْله خوفًا من الإمْلاق بل تأخذه عند الجُود الأريحيَّة وتحرِّكه اللوذعيَّة، على هذا جرتْ ضريبته وغريزته، واستقرت طبيعته ونحيزته.

وقد يكون قليل ذات اليد ومع لا يحرم نفسه من الصَّدقة ولا يكاد يذهب عن باله حديث أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: " أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ" (مسلم ١٠٣٢).

فأحسن مساعيك تطب مراعيك، واعلم أن البر كنز الموسر؛ فاحرص على النجاة من فتنة القلة والذلة، فالأيام تمضي، ولن تجد من يـؤدي عنك ويقضي، وما انقضت ساعة من عمرك إلا ببضعة من نفسك، وقطعة من يومك وأمسك، فخذ الفرصة قبل بلوغ الـروح موضع الغصة، وتأمل هذه الكلمات القوارع، والعظات البوارع، والمواعظ القصار الجوامع، تفز وتنجُ مع الناجين. والله أعلم.

# واحة

## من نور كتاب الله

### قولوا للناس حسنًا

قال الله تعالى: « وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا » (الإسراء: ٥٣).

## من دلائل النبوة

### إخبار الذئب بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « بيْنا راعٍ يرعى بالحرَّة إذ عرَض ذئبٌ لشاةٍ من شائه فجاء الرَّاعي يسعى فانتزَعها منه، فقال للرَّاعي: ألا تتَّقي اللهَ تحُولُ بيْني وبيْنَ رزقٍ ساقه اللهُ إليَّ؟ قال الرَّاعي: العَجبُ للذِّئبِ يكلِّمُني بكلامِ الإنسِ؟ قال الذِّئبُ للرَّاعي: ألا أحدِّثُك بأعجبَ من هذا؟ هذا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بيْنَ الحرَّتيْنِ يُحدِّثُ النَّاسَ بأنباءِ ما قد سبَق ». (صحيح ابن حبان ٦٤٩٤).

## حكم ومواعظ

كتب أبو الدَّرداء إلى مسلمة بن مخلد: « أمَّا بعد: فإنَّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبَّه الله، فإذا أحبَّه الله، حبَّبه إلى خلقه، وإنَّ العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغَّضه إلى خلقه ».

(سير أعلام النبلاء).

## من فضائل الصحابة

عن الشعبي، قال: « أصبحت الأمة على أربع فرق: مُحبٌّ لعليّ مبغضٌ لعثمان، ومُحبٌّ لعثمان مُبغضٌ لعليّ، ومُحبٌّ لهما، ومُبغضٌ لهما. قلتُ: من أيها أنت؟ قال: مبغض لباغضهما ». (سير أعلام النبلاء).

## من حكمة الشعر

قال الشاعر في المعلِّم الذي يخالف عملُه علمَه:

يا أيُّها الرجلُ المُعلِّمُ غيرَهُ ... هلا لِنَفسِك كانَ ذا التَّعليمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السِّقامِ وذي الضَّنا ... كيما يَصحَّ بِهِ وأنتَ سَقيمُ

(البيان والتبين)

# التوحيد

إعداد: علاء خضر

## من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في إشاعة السلام والأمن الاجتماعي

عن البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: أمَرَنا رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسَبعٍ: بعِيادَةِ المريض، واتِّباعِ الجَنائزِ، وتَشْمِيتِ العاطسِ، ونَصْرِ الضَّعيفِ، وعَوْنِ المَظْلومِ، وإفْشاءِ السَّلامِ، وإبْرارِ المُقسِمِ».

(صحيح البخاري ٦٢٣٥).

## من سِيَر الخلفاء والولاة

خطب سعيد بن سويد بحمص فقال: «أيها الناس إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا. فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدَّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل». (العقد الفريد).

## أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«كنت كنزًا لا أُعرَف، فأحببتُ أن أُعرف؛ فخلقتُ خلقًا فعرَّفتَهم بي؛ فعرَفوني». لا أصل له اتفاقًا. ذكره العجلوني في كشف الخفاء، وقال: وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفية، واعتمدوه، وبنوا عليه أصولاً لهم. (السلسلة الضعيفة للألباني).

## من أقوال السلف

عبد الرحمن بن مهدي قال: سمعت سفيان يقول: «ما بلغني عن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم- حديثٌ قط إلا عملت به، ولو مرةً».

(سير أعلام النبلاء)

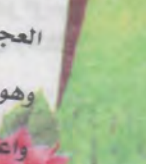

## من درر الكلام

قال ابن القيم في التوفيق والخذلان، والإلحاح على الله تعالى:

«وما أُتِيَ من أُتِيَ إلاَّ من قبل إضاعة الشُّكر، وإهمال الافتقار والدُّعاء. ولا ظفر من ظفر -بمشيئة الله وعونه- إلاَّ بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدُّعاء، وملاك ذَلِك الصَّبْر». (الفوائد)

دراسات شرعية

# أثر السياق في فهم النص
## (١١٩)

# حجاب المرأة المسلمة

## (٢٩)

إعداد **د. متولي البراجيلي**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير العالمين، وبعد:**

**ما زال الحديث متصلاً حول حجاب المرأة المسلمة-الدليل والاستدلال-، وقد انتهيت- بفضل الله تعالى- من أدلة القرآن الكريم، ثم انتقلت إلى أدلة السنة، ووصلت إلى الدليل الثلاثين.**

### الدليل الثلاثون:

عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب، فذكرت أن زوجها لا يصل إليها، فسأل الرجل، فأنكر ذلك، وكتب فيه إلى معاوية رضي الله عنه. قال: فكتب أن زوّجه امرأة من بيت المال لها حظ من جمال ودين، فإن زعمت أنه يصل إليها فاجمع بينهما، وإن زعمت أنه لا يصل إليها ففرّق بينهما. قال: نفعل، وأتى بهما عنده في الدار. قال: فلما أصبح دخل الناس ودخلت، قال: فجاء الرجل وعليه أثر صفرة،...... وجاءت المرأة متقنعة.... (السنن الكبرى للبيهقي ح ١٤٣٠٢، وقال الألباني: في جلباب المرأة المسلمة: وسنده حسن ص١٠٣).

والشاهد في الأثر قوله: «وجاءت المرأة متقنعة». فقد استدل به من قال بوجوب تغطية الوجه؛ لأن القناع هو ما يغطي الوجه. فهل القناع هو ما يوضع فوق الوجه، أم له معنى آخر غير ذلك؟

معنى القناع في كتب اللغة: قناع المرأة: ما تديره برأسها (انظر مقاييس اللغة ٣٣/٥)، وهو أوسع من المقنعة، وقد تقنعت به، وقنعت رأسها (انظر المحكم ١/ ٢٢٨).

وفي شمس العلوم: المقنعة: ما تقنع به المرأة رأسها (شمس العلوم ٨/ ٥٦٣٩).

وفي النهاية، قال عن رجل مقنع بالحديد: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة؛ لأن الرأس موضع القناع (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١١٤).

وفي لسان العرب: المقنع والمقنعة ما تغطي به المرأة رأسها.. والقناع أوسع من المقنعة، وقد تقنعت به، وقنعت رأسها، وقنعتها، ألبستها القناع فتقنعت به. والقناع والمقنعة: ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها... قال

الأزهري: ولا فرق عند الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة (انظر لسان العرب مادة قنع ٨/٣٠٠-٣٠١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الهجرة، قالت: «... فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدًا لَكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ...» (البخاري وغيره). قال ابن الجوزي: متقنعًا: أي مغطيًا رأسه بثوب يستره (المشكل من حديث الصحيحين ٤/٣٨١). قال ابن حجر: «هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعًا: أي مغطيًا رأسه» (انظر فتح الباري ٧/٢٣٥، عمدة القاري ١٧/٤٥، إرشاد الساري ٦/٢١٧، ٨/٤٢٩). وفي مرقاة المفاتيح: «متقنعًا: أي مغطيًا رأسه بالقناع، أي بطرف ردائه على ما هو عادة العربي لحر الظهيرة، ويمكن أنه أراد له التستر لكيلا يعرفه كل أحد (انظر مرقاة المفاتيح ٧/٢٧٦٥). قال الشوكاني عن التقنع: هو تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو غيره (انظر عون المعبود ١/٩٢).

وفي مطالع الأنوار: التقنع: تغطية الرأس من داء ونحوه، ومقنع بالحديد، كذلك، أي مغطى الرأس بدرعه أو مغفر أو بيضة (انظر مطالع الأنوار ٥/٣٧٠). فهذه النقول التي وقفنا عليها من كتب اللغة والحديث تبين أن التقنع هو تغطية الرأس وليس هو تغطية الوجه.

قلت: ولو ذكر بعض أهل العلم أن التقنع هو تغطية الوجه، فسيكون هذا من قبيل الدليل المتنازع فيه، وليس مسلمًا به لمن قال: إن الأثر يبين أن المرأة كانت تغطي وجهها. يقول الشيخ الألباني عن هذا الأثر: «كنت قد وهمت في إيراد هذا الأثر في جملة ما يدل على جريان العمل على ستر الوجه من النساء في العهد الأول، ثم تبين لي أن الأمر على العكس من ذلك: لأن التقنع هو ستر المرأة لرأسها دون وجهها، كما شرحته في مقدمة هذه الطبعة، فهو من الأدلة الكثيرة التي لا ترضي المتعصبين لمذاهبهم والمتشددين في أقوالهم» (انظر جلباب المرأة المسلمة ص١٠٣).

قلت: ولا أرى الدليل-موضع الشاهد منه- يدل على ما ذهب إليه الشيخ الألباني من أن كشف الوجه كان هو الذي يجري عليه العمل من النساء في العهد الأول. فكون المرأة وُصفتْ في الأثر أنها جاءت متقنعة، يحتمل أمرين: الأمر الأول: أنها جاءت كاشفة عن وجهها لكنها تغطي رأسها وبعض وجهها بمقنعة تلبسها فوق الجلباب؛ زيادة في تسترها. والثاني: أنها جاءت تغطي وجهها.

لكن يثار سؤال: لماذا وُصفتْ بأنها متقنعة؟ إن الوصف في الغالب يكون لشيء غير مألوف، فلا يُوصف الإنسان بما هو من عادات الناس في زمانه، فلو قلنا: إن التقنع هو تغطية الوجه، وان هذا كان السائد من النساء في هذا الزمن، فلمَ وُصفتْ به المرأة إذن؟ إلا لو كان التقنع فيه زيادة وصف عن مجرد تغطية الوجه، فهل كانت تغطي وجهها بالمقنعة التي تضربها على رأسها ثم وجهها، يحتمل. واما أنها كانت تغطي رأسها فقط بمقنعتها. على العموم فالأثر ليس دليلاً قاطعًا لأيٍّ من الفريقين، خاصة بعد أن علمنا معنى القناع والتقنع في كتب اللغة.

### الدليل الحادي والثلاثون:

عن ثابت بن قيس رضي الله عنه قال: «جاءت امرأةٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقال لها أمُّ خلَّاد، وهي مُنتقبةٌ تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعضُ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: جئتِ تسألينَ عن ابنكِ وأنتِ مُنتقبةٌ؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ابنكِ له أجرُ شهيدين» قالت: ولِمَ ذاكَ يا رسولَ الله؟ قال: لأنه قتلهُ أهلُ الكتابِ (والحديث ضعيف ففي سنده مجهولان، انظر ضعيف سنن أبي داود

للألباني ح ٤٢٨). (أُرْزَأ: أي: أُصابُ بمصيبة). ومعنى الحديث: إنْ أُصبتُ بمصيبة موت ابني، فلن أضم إلى هذه المصيبة مصيبة أخرى؛ وهي فقدُ حيائي. والحديث ضعيف، وان صح فلا دليل فيه على فرضية النقاب، بل قد يكون لصالح من قال بكشف الوجه، وهذا قد يتضح في إنكار الصحابة عليها أنها جاءت تسأل عن ابنها وهي تلبس النقاب. وأنا لا أدري ما وجه الإنكار من الصحابة على أم خلاد لارتدائها النقاب، هل كما قال ابن رسلان لعله أنكر عليها ستر وجهها من النبي صلى الله عليه وسلم في سؤالها، والوجه لا يستر بالنقاب إلا لخوف الفتنة، فكان الأولى كشف وجهها عند مخاطبته، فيقع نظر النبي صلى الله عليه وسلم على وجهها فتشمله البركة (انظر شرح سنن أبي داود لابن رسلان ١١/ ٤٠)، وما أجاب به ابن رسلان أراه بعيدًا وغير متوجه عندي. هل كانت من القواعد من النساء؟ حتى إن كانت من القواعد من النساء-ولم أقف لها على ترجمة تذكر عمرها- فلا وجه للإنكار عليها.

ولضعف الأثر، فأقول كما قال الألباني: «فهذا نص صريح في فضيلة النقاب؛ لأنها عدّته من الحياء وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن ما كان لنا أن نحتج بمثل هذا الإسناد» (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ١١٢).

### الدليل الثاني والثلاثون:

عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين (من التابعين)، وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به، فنقول لها: رحمك الله، قال الله تعالى: «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ» (النور: ٦٠). هو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فتقول: «وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ» (النور: ٦٠) فتقول: هو إثبات الجلباب (السنن الكبرى للبيهقي ح١٣٥٣٤، وقال الألباني: هذا إسناد صحيح- جلباب المرأة المسلمة ص ١١٠).

يقول د العريفي: استدل بالأثر من قال بوجوب النقاب، وأن المرأة الكبيرة في السن يجوز لها أن تكشف وجهها من غير تبرج بزينة. فلو جاء أحدهم وقال: لا، أصلاً كل النساء يكشفن وجوههن. نقول: إذاً المرأة الكبيرة في السن أذن الله تعالى أن تكشف ماذا؟ إذا كانت لن تكشف وجهها؛ لأن كل النساء يكشفن وجوههن، إذًا فأي شيء زائد أذن الله أن تكشفه هذه المرأة العجوز. والمعنى أن الأصل أن النساء يسترن وجوههن، والمرأة العجوز أذن لها أن تكشف وجهها» (انظر ٢٠ دليلاً لوجوب النقاب د.العريفي ص ٨).

فهل وضع الثياب في الآية بمعنى وضع النقاب عن الوجه؟

يقول الطبري: «فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن، يعني جلابيبهن، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب. ثم ذكر بأسانيده عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب، ما لم تتبرج لما يكره الله. وعن الضحاك: يضعن ثيابهن: يعني الجلباب، وهو القناع: فلا يضرها ألا تتجلبب فوق الخمار، وأما كل امرأة مسلمة حرة إذا بلغت المحيض أن تدني الجلباب على الخمار.. وعن ابن جريج: قال جلابيبهن. وعن ابن زيد، قال: وضع الخمار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الجلباب أو الرداء، وفي رواية: الرداء، وفي رواية: الملحفة، وفي رواية الجلباب. وعن الشعبي. قال: الجلباب، وعن مجاهد: قال: جلابيبهن. (انظر تفسير الطبري ١٩/ ٢١٥-٢١٨).

فما نقله الطبري في تفسيره أن معنى وضع الثياب دائر بين: الجلباب القناع، الرداء، الخمار.

فهل فسَّر أحدٌ من الصحابة أو من العلماء أن وضع الثياب هو وضع النقاب عن الوجه؟ هذا ما سنناقشه-بإذن الله تعالى- في الحلقة القادمة.

**والحمد لله رب العالمين.**

## باب الفقه

# صلاة التطوُّع

## الحلقة الثامنة

# وقت صلاة الضحى وعدد ركعاتها

## (٣)

إعداد د. حمدي طه

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:**

**ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة الضحى، وقد بينا في العدد السابق حكم صلاة الضحى عند أهل العلم، ووقفنا عند الأقوال الستة التي جمعها ابن القيم في حكمها، وذكر أدلة هذه الأقوال وبيان الراجح منها، ونبدأ في هذه الحلقة في بيان وقتها وعدد ركعاتها.**

### المسألة الثالثة: وقت صلاة الضحى:

لا خلاف بين الفقهاء في أنَ الأفضل فعل صلاة الضحى إذا علت الشمس واشتدَ حرَها؛ أما وقت الفضيلة فيها: فيدل عليه ما جاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على أهل قباء وهم يصلون الضحى؛ فقال: "صلاة الأوَابين إذا رمضت الفصال من الضحى» رواه أحمد.

ورأى زيد بن أرقم رضي الله عنه قومًا يصلون من الضحى فقال «أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: "صلاة الأوَابين حين ترمض الفصال" رواه مسلم.

وقوله: "حين ترمض الفصال" في الحديث الثاني: يعني إذا احترقت أَخفاف صغار الإبل، أي إذا اشتد الحر فسخن الرمل فلم تستطع الجمال الصغيرة المشي فوقه.

قال الطَحاويَ من الحنفية: "ووقتها المختار إذا مضى ربع النَهار".

وجاء في مواهبِ الجليل من كتب المالكية نقلاً عن الجزولي: أوَل وقتها ارتفاع الشَمس، وبياضها وذهاب الحمرة، وآخره الزَوال.

قال الماورديَ من الشافعية: "ووقتها المختار إذا مضى ربع النَهار".

قال البهوتيَ من الحنابلة: "والأفضل فعلها إذا اشتدَ الحرَ".

ثمَ اختلف الفقهاء في تحديد وقت صلاة الضَحى على الجملة.

فذهب الجمهور إلى أنَ وقت صلاة الضَحى من ارتفاع الشَمس إلى قبيل زوالها ما لم يدخل وقت النَهي. (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية بتصرف).

أما أول وقت صلاة الضحى فيبدأ حين ترتفع الشمس وتبيض، ولزيادة الدقة نقول: إن

وقتها يبدأ عند ارتفاع الشمس من جهة المشرق كارتفاعها من جهة المغرب عند صلاة العصر، فهي تقابل العصر؛ فالعصر في آخر النهار والضحى في أوّله، فيبدأ وقت صلاة الضحى من طلوع الشمس إلى الزوال.

والدليل على ذلك ما يلي:

أما أول وقتها؛ فيدل عليه حديث أبي مرة الطائفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله عز وجل: ابن آدم صلّ لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره" (رواه أحمد، وقال الألباني: صحيح لغيره).

ومحل الشاهد فيه: "صلّ لي أربع ركعات من أول النهار".

وكذا ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى صلاة الصبح في مسجد جماعة، يثبت فيه حتى يصلي سبحة الضحى، كان كأجر حاج أو معتمر؛ تامًّا حجته وعمرته". (أخرجه الطبراني. وقال الألباني: حسن لغيره).

أما خروج وقتها بالزوال؛ فلأنها صلاة الضحى.

**المسألة الرابعة: عدد ركعات صلاة الضحى وصفتها:**

لا خلاف بين الفقهاء القائلين: باستحباب صلاة الضّحى في أنّ أقلّها ركعتان. فقد روى أبو ذرّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «يصبح على كلّ سلامى من أحدكم صدقة؛ فكلّ تسبيحة صدقة، وكلّ تحميدة صدقة، وكلّ تهليلة صدقة، وكلّ تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضّحى». رواه مسلم.

فأقلّ صلاة الضّحى ركعتان؛ لهذا الخبر.

وإنّما اختلفوا في أكثرها:

فذهب المالكيّة والحنابلة-على المذهب- إلى أنّ أكثر صلاة الضّحى ثماني ركعات؛ لما روت أمّ هانئ «أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكّة، وصلّى ثماني ركعات، فلم أرَ صلاةً قطّ أخفّ منها غير أنّه يتمّ الرّكوع والسّجود».

وصرّح المالكيّة بكراهة ما زاد على ثماني ركعات، إن صلّاها بنيّة الضّحى لا بنيّة نفل مطلق، وذكروا أنّ أوسط صلاة الضّحى ستّ.

ويرى الحنفيّة والشّافعيّة-في الوجه المرجوح-، وأحمد-في رواية عنه- أنّ أكثر صلاة الضّحى اثنتا عشرة ركعة، لما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلّى الضّحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنّة» (أخرجه الترمذي، وقال الألباني: ضعيف). قال ابن عابدين نقلاً عن شرح المنية: "وقد تقرّر أنّ الحديث الضّعيف يجوز العمل به في الفضائل".

أمّا الشّافعيّة: فقد اختلفت عباراتهم في أكثر صلاة الضّحى؛ إذ ذكر النّوويّ في المنهاج أنّ أكثرها اثنتا عشرة وخالف ذلك في شرح المهذّب، فحكى عن الأكثرين: أنّ أكثرها ثماني ركعات. وقال في روضة الطّالبين: "أفضلها ثمان، وأكثرها اثنتا عشرة، ويسلّم من كلّ ركعتين". (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية بتصرف).

قال ابن جرير الطبري-وقد ذكر الأخبار المرفوعة في صلاة الضحى واختلاف عددها- فقال: "وليس في هذه الأحاديث حديث يدفع صاحبه".

وقال مجاهد: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا الضحى ركعتين، ثم يومًا أربعًا، ثم يومًا ستًا، ثم يومًا ثمانيًا، ثم ترك؛ فأبان هذا الخبر عن صحة ما قلنا من احتمال خبر كل مخبر ممن تقدم أن يكون إخباره لما أخبر عنه في صلاة الضحى على قدر ما شاهده وعاينه.

والصواب: إذا كان الأمر كذلك: أن يصليها من أراد على ما شاء من العدد، وقد روي هذا عن قوم من السلف: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن إبراهيم سأل رجل الأسود كم أصلي الضحى؟ قال: كما شئت.

والصحيح أنه يشرع للمسلم أن يصلي صلاة

الضحى ركعتين أو أربع أو ست أو ثمان، أو ما زاد على ذلك.

أما أنها تُصلّى ركعتين؛ فيدل عليه حديث أبي ذر السابق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى". أخرجه مسلم.

أما أنها تصلى أربع ركعات؛ فيدل عليه حديث أبي الدرداء وأبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الله عز وجل قال: "ابن آدم! اركع لي من أول النهار أربع ركعات؛ أكفك آخره". أخرجه الترمذي.

قال الحاكم: "صحبت جماعة من أئمة الحديث الحفاظ الأثبات فوجدتهم يختارون هذا العدد يعني أربع ركعات، ويصلون هذه الصلاة أربعًا؛ لتواتر الأخبار الصحيحة فيه، وإليه أذهب، وإليه أدعو اتباعًا للأخبار المأثورة واقتداء بمشايخ الحديث فيه".

أما أنها تصلى ستَّ ركعات؛ فيدل عليه حديث أنس بن مالك "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات". أخرجه الترمذي في "الشمائل". وصححه الألباني في الإرواء ٢/٢١٧.

أما أنها تصلّى ثمان ركعات؛ فيدل عليه حديث أم هانئ؛ قالت: "لما كان عام الفتح، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله، فسترت عليه فاطمة، ثم أخذ ثوبه، فالتحف به، ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى" أخرجه الشيخان.

أما أنها تصلى اثنتي عشرة ركعة؛ فقد بينا ضعف حديث أنس السابق.

ولكن يدل عليه إطلاق السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألتها معاذة: كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى؟ قالت: "أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله". أخرجه مسلم.

والمحصّلة هي أن صلاة الضحى أقلُّها ثنتان، ولا حدّ لأكثرها، فليصل المرء ما شاء منها، وليَجْنِ ما أكرمه الله به من ثواب وجزاء. (انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي).

أما صفتها فالأفضل أن تُصلى ثنتين ثنتين، والأصل في ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى" رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي بركعتي الضحى» رواه ابن أبي شيبة.

وحديث بريدة وفيه «فركعتا الضحى تجزئك». رواه أحمد.

وكذلك عموم قوله عليه الصلاة والسلام: "صلاة الليل والنهار مثنى مثنى".

فهذه نصوص على أن صلاة الضحى تكون ركعتين اثنتين.

وللمسلم أن يصلي الأربع متصلات؛ كالصلاة الرباعية، ويدل عليه إطلاق لفظ الأحاديث الواردة في ذلك؛ كحديث عائشة رضي الله عنها السابق لما سألتها معاذة: كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى؟ قالت: "أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله". وحديث أبي الدرداء وأبي ذر السابق أيضًا وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "... اركع لي من أول النهار أربع ركعات"، فهذان نصّان يدلان على أن صلاة الضحى تكون أربع ركعات. (انظر: بغية المتطوع في صلاة التطوع، لمحمد بن عمر بازمول).

وهذه الصلاة تؤدّى انفراديًا، وهو الأصل فيها، وتؤدّى جماعة، ويدل عليه ما روى عتبان بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- صلى في بيته سُبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلوا بصلاته» (رواه البخاري ومسلم).

هذا والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# مفهوم لغة الجسد في القرآن والسنة

## الحلقة الثالثة

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

قلنا قبل ذلك يُعَدُّ علم لغة الجسد من أشهر الأدوات وأهمها التي يجب أن يتعلمها الدعاة والخطباء وممن يتصدرون للفتوى ولمخاطبة الناس، فمن يتمكن من فهم لغة الجسد، يستطيع التعرف على الحالة النفسية للمستمع ، أو التلميذ، أو المفاوض، أو المتكلم، فيرى ما يخفيه المتحدث والمستمع من مكنونات نفسه التي تظهر دون إرادة كاستجابة واستمتاع واستماع بما يقال أو ينطق فيسهب أو يختصر، وذلك من خلال حركات الأيدي، أو الوجه، أو القدمين، كما يمكن لمتقني التخصص التعرف على النمط الشخصي للمستمع أو للمحاور هل هو حسي أو بصري أو سمعي فينوع في أسلوبه وذلك من خلال قراءة النظرات و الإيماءات، والكلمات، والإشارات غير اللفظية أيضًا. لذا نبدأ بطريقة علمية في الموضوع واليك المادة الخام للموضوع ويجب على الدعاة الاهتمام بما يأتي .

### شواهد التأصيل الشرعي للغة الجسد (القرآن الكريم):

إن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وكتابه الذي أنزله بالحق والميزان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة التي حبا الله بها هذه الأمة، فنزل بلغتها، وجعلها خير أمة أخرجت للناس إن هي أذعنت لهذا القرآن، وحكّمته في حياتها.

إن القرآن الكريم باعتباره كتاب دعوة وإرشاد، وتعليم وتوجيه، فقد استخدم أساليب شتى، ووسائل مختلفة لإقناع الإنسان، وصده عن غيه، ورده إلى هذا الدين ردًا جميلًا. من هذه لغة الإشارات غير الشفوية التي نجدها مبثوثة في آي القرآن الكريم، في أساليبه الخبرية أو الإنشائية. ما من شك في أن هذه الإشارات تحمل في طياتها دلالات محددة يجب على القارئ الواعي أن يسبر غورها، ويستخرج مكنونها،

ويصل إلى مداها ومرادها.

يقول الدكتور مهدي عرار: يلقى القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات على الأوصاف والتحركات الجسدية المؤدية إلى معانٍ، وقد تكون تلك الحركات سبيلًا من سبيل وصف المعنى وتشكيله، ويكون سبيلها الكناية كتقليب الكفين في مقام الندم، أو تقديم رجل وتأخير الأخرى في مقام الحيرة والتردد. (مهدي عرار، ص١٦٩)

وكذلك السنة النبوية شارحة ومبينة للقرآن الكريم، وقد حوت الكثير من قراءات نبوية للغة الجسد، وتتلخص قنوات الاتصال بواسطة لغة الجسد في القرآن الكريم فيما يلي:

الاتصال بواسطة العيون
الاتصال بواسطة تعبيرات الوجه
الاتصال بواسطة حركات الأعضاء
الاتصال بواسطة الهيئة والمظهر

### لكن نبدأ بشواهد من القرآن أنموذجًا شارحًا لغة الجسد بشواهدها في القرآن ودلالاتها:

### ١- سد الأذن بالإصبع:

إنَّ وضع رأس الإصبع في الأذن لكفها عن السماع يحمل دلالتين اثنتين للآخر هما:

إحداهما: الامتناع عن سماع الأصوات القوية الشديدة المزعجة، وهذا ما نجده في قوله تعالى: «يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ» (سورة البقرة، آية: ١٩).

قال أحمد بن المنير: «إنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فرارًا من شدة الصوت». (يراجع الانتصاف بحاشية الكشاف: ٩١/١).

وآخراهما: الامتناع عن الاستماع لدعوة الحق، وهذا يتجلى في قوله سبحانه: «جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» (سورة نوح، آية: ٧). قال الزمخشري: «سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة». (تفسير الكشاف: ٦٠٤/٤).

### ٢- تغطية الإنسان رأسه بثيابه:

قد يكون ذلك لأشياء كثيرة، قد يكون لتجنب البرد، أو الحر، أو خوفًا من شخص لا يريده أن يراه، أو المزح، أو الاستهزاء، وقد يكون كراهة النظر إلى وجه من ينصحه ويرشده، وهذا ما نجده في قوله تعالى: «وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا». قال الزمخشري: «استغشوا ثيابهم، وتغطوا بها، كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم، أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله، وقيل: لئلا يعرفهم»؛ وذلك لأن نور الحق لا يتحمل أهل الباطل رؤيته.

### ٣- الإشارة:

قد تكون بالسبابة، وقد تكون بالعينين. وفي قوله تعالى: «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ» (ابن الجوزي، ص ٢٨٨، ج٥)؛ أي: أشارت إلى ابنها عيسى الرضيع أي أومأت إليه؛ أي إلى عيسى فتكلم لأنها نذرت الصوم أي لا تتكلم ولكي يتكلم هو ليدافع عنها وعن براءتها، وليثبت لهم أن ما جرى لأمه كان بأمر من الله، وليس كما يزعمون أو يظنون. أو أشارت إليه أي كلموه ولا ندري هذه الإشارة أو الإيماءة، أكانت بالعينين أم بالإصبع أم بماذا؟! المهم أن الإيماءة قد حصلت بدون تلفظ، والاستجابة لها قد وقعت، وعيسى قد تكلم، والحجة قد ثبتت، والمعجزة قد تحققت، والظانون قد بُهتوا، قال تعالى: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» (سورة مريم: الآية ٣٠)، قال السدي: «لما أشارت إليه غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها». يفهم من كلام السدي أن الإشارة قد تحمل معنى السخرية، وذلك إذا كانت لشيء مستحيل الوقوع، كأن تأتي إلى بئر غائرة وعميقة، وتسأل عمن حفرها، فيشير صاحبها إلى ابنه الصغير الذي لا يتأتى له فعل ذلك حقيقة.

وقال الألوسي الظاهر أنها بينت حينئذ نذرها، وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت، ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة. (الألوسي، ص٨٨).

### ٤- ستر العورة بأي شيء:

إذا تُكشفت عورة الإنسان، وكان في مكان عام بحيث يراه الناس لجأ إلى سترها بأي شيء، وإن لم يجد فبيديه، أو يأوي إلى أي مكان يستره، وهذا ما نجده في قوله تعالى: «وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ » (سورة طه، آية: ١٢١)، فآدم وحواء حينما انكشفت سوآتهما لم يستسلما للأمر الواقع، بل حاولا سترها، قال الزمخشري: «أي: يلزقان الورق بسوآتهما للتستر» (المصدر السابق ٩١/٣). إذن في الآية إشارة تقرأ من لغة الجسد إلى الحياء والتستر.

### ٥- طأطأة الرأس:

إن الإنسان يطأطئ رأسه لله سبحانه خضوعًا وتذللًا، ولمن هو أعلى منه رتبة في العلم كشيخه، أو معلمه، أو منزلة في القدر كحاكم وغيره ولاء وطاعة، وقد ينحني برأسه إلى الأسفل تفكرًا وتدبرًا، أو حياء وخجلًا، أو شعورًا بالذنب والندم، أو تعبًا وشقاء، أو ذلًا وانكسارًا، أو انخذالًا وانبهاتًا، وهذا ما حدث لقوم إبراهيم حين كسر جميع أصنامهم، وعلق الفأس في رقبة كبيرهم، فلما سألوه عن الفاعل، « قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ » (سورة الأنبياء، آية: ٦٣)، حين ذلك أطرقوا برؤوسهم؛ لأنهم أحسوا بأنهم على خطأ، وهو على صواب، وأن هذه الأصنام التي لا تدافع عن نفسها ليست جديرة بأن تعبد من دون الله، قال تعالى: « ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ».

«نكسته: قلبته، فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب؛ أي: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم، وجاؤوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلًا وانكسارًا وانخذالًا مما بهتهم به إبراهيم» ومن يقرأ هذا الموقف يلحظ انكسار قلب وانكسار هامة، ولكن الذين كفروا بآيات الله يجحدون (الزمخشري، المصدر السابق: ١٢٢/٣).

### ٦- المشية:

للإنسان مشيات عديدة، كل مشية في حد ذاتها رسالة يقرأها ويفسرها من ينظر إليه.

مشية اللين: قد يمشي الإنسان مشية لينة هينة، وذلك إذا كان مهمومًا، أو محزونًا، أو مهزومًا، أو ضعيفًا بدنيًا، أو نفسيًا، أو لأنه من أصحاب الوقار والتواضع، فلا يختال في مشيته ولا يتكبر، تواضعًا لله، ورحمة بالناس. وهذا المعنى نجده في عدة آيات:

أ- قال تعالى: « وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا » (سورة الفرقان، آية: ٦٣).

«هونا»: «حال أو صفة للمشي بمعنى: هينين، أو مشيًا هينًا، والهون: الرفق واللين، والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع».

ب- قال تعالى: « وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ » (سورة لقمان، آية: ١٩).

«واعدل فيه حتى يكون مشيًا بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثيب الشطار».

- مشية الحياء: قد تكون المشية إيماءة إلى الحياء أو الخجل، كما حكى الله سبحانه عن ابنة شعيب فقال: « فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ » (سورة القصص، آية: ٢٥).

«في موضع الحال؛ أي: مستحيية متخفرة (الزمخشري، المصدر السابق: ٣٨٨/٣). وقيل: قد استترت بكم درعها». «الخَفَر بالتحريك: شدة الحياء» (لسان العرب لابن منظور: ٢٥٣/٤ (مادة خفر)).

- مشية الخيلاء: هي مشية الجبابرة والمتكبرين والمتغطرسين الذين يستصغرون من حولهم، ويحتقرونهم، قال تعالى: « وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا » (سورة الإسراء، آية: ٣٧). فقد تضمنت هذه الآية نهيًا عن المشية التي فيها مرح وتكبر، ووصفت هذه المشية بأن فيها تطاولًا وتعاليًا، كما أن فيها دكًا للأرض (الزمخشري، تفسير الكشاف: ٦٤١/٢).

«لن تجعل فيها خرقًا بدوسك لها وشدة وطأتك بتطاولك، وهو تهكم بالمختال».

أيضًا: «ولا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشرًا وبطرًا».

وقد تكون هذه المشية لإغاظة المتعالين والمتكبرين؛ وهنا تكون المشية محمودة، ولا إثم فيها، وقد فعلها أبو دجانة في غزوة أحد؛ إذ وضع عصابته الحمراء، وأخذ يتبختر في مشيته أمام الأعداء، فاستهجنها الصحابة رضوان الله عليهم، وأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله يبغض هذه المشية إلا في هذا الموطن». وقد يمشي هذه المشية الواثقون بأنفسهم الذين يريدون أن يثبتوا لغيرهم أنهم ليسوا أقل منهم مكانة وقيمة.

والي لقاء قريب إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة

الحلقة الأخيرة

إعداد **المستشار/ أحمد السيد علي**
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

**الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد: ما يزال الحديث متصلاً عن الأمانة ووجوب أدائها، والتحذير من تضييعها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:**

### ٣١ - لا تجتمع الخيانة والأمانة:

وذلك مصداقا لقوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّه لرَجُلٍ مَن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفه» (الأحزاب: ٤)، فهو قلب واحد إن امتلأ بالحق لم يدخله الباطل، وإن امتلأ بالباطل لم يدخله الحق، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجتمعُ الإيمانُ والكفرُ في قلب امريء، ولا يجتمعُ الكذبُ والصدقُ جميعًا، ولا تجتمعُ الخيانة والأمانة جميعا» (صححه الألباني).

فلا تجتمع الأمانة والخيانة في شخص، فالأمانة سجية تصاحب عمل المسلم المخلص يبتغي من خلالها مرضاة الله تعالى، وقد يلتزم فيها المرء من أجل ظنه بتحقق مصلحة لا تحققها الخيانة. وهنا يجب أن نعي أن الأصل في الالتزام بأوامر الله هو ابتغاء مرضاته، وليس من أجل جلب مصلحة أو درء مفسدة، وهنا يكون التزامه ثابتًا مستقرًا، وليس صفة طارئة تتغير بتغير المصلحة وانتقالها من مكان إلى آخر.

### ٣٢ - من السنة التعوذ من الخيانة:

ولما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش في الدنيا وسوء المنقلب في الآخرة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في استعاذته بين الحالين معا؛ إذ قال: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة» (رواه أبوداود، وحسنه الألباني).

### ٣٣ - أول ما يُفقد من الدين الأمانة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولُ ما تَفْقدُونَ من دِينكُمُ الأمانَةُ، وآخرُه الصلاةُ» (رواه وصححه الألباني).

### ٣٤ - أول ما يُرفع من الناس الأمانة:

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: «أولُ ما يُرْفَعُ منَ الناسِ الأمانَةُ، وآخرُ ما يبقَى منَ دينهم الصلاةُ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خلاقَ له عندَ اللَّهِ تعالى» (صحيح الجامع الصغير

وحسنه الألباني).

قال المناوى -رحمه الله- في " فيض القدير ": «(أول ما يُرفع من الناس) في رواية من هذه الأمة (الأمانة) قال ابن العربي: وهي أي هنا معنى يحصل في القلب فيأمن به المرء من الردى في الآخرة والدنيا وأصله الإيمان (وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة) كلما ضعف الإيمان بحب الدنيا ونقص نوره بالمعاصي والشهوات وذهبت هيبة سلطانه من القلوب اضمحلت الأمانة، وإذا ضعفت الأمانة وخانت الرعية فيها فأخرت الصلاة عن أوقاتها وقصر في إكمالها أدى ذلك إلى إرتفاع أصلها (ورب مُصَلٍّ آتٍ بصورة الصلاة (لا خلاق له عند الله) أي لا نصيب له عنده من قبولها والإثابة عليها وفي رواية ورب مُصَلٍّ لا خير فيه أي لكونه غافلاً لاهي القلب وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل كما في حديث آخر» اهـ.

### ٣٥- كيفية رفع الأمانة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ حديثَيْنِ قدْ رَأَيْتُ أحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا: أنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عن رَفْعِ الأمَانَةِ قالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ من قَلْبِه، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ من قَلْبِه، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ على رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فيه شَيءٌ، ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ على رِجْلِه، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حتَّى يُقَالَ: إنَّ في بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حتَّى يُقالَ لِلرَّجُلِ: ما أَجْلَدَهُ ما أَظْرَفَهُ ما أَعْقَلَهُ وَما في قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمَانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَما أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كانَ نَصْرَانِيًّا، أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا اليومَ فَما كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنكُم إلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا» (رواه مسلم).

### ٣٦- رفع الأمانة من الفتن الظلماء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يظهرُ النفاقُ وتُرفعُ الأمانةُ وتُقبضُ الرحمةُ ويُتَّهمُ الأمينُ ويُؤتمنُ غيرُ الأمينِ أناخَ بكمُ الشُّرْفُ الجُونُ قالوا: وما الشُّرْفُ الجُونُ يا رسولَ الله، قال: فتنٌ كقطعِ الليلِ المظلم» (حسنه الألباني).

### ٣٧- قيام الأمانة والرحم على جنبتي الصراط يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حتَّى تُزْلَفَ لهمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: يا أبانا، اسْتَفْتِحْ لنا الجَنَّةَ، فيَقولُ: وهلْ أخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إلَّا خَطِيئَةُ أبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بصاحِبِ ذلكَ، اذْهَبُوا إلى ابْنِي إبْراهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، قالَ: فيَقولُ إبْراهِيمُ: لَسْتُ بصاحِبِ ذلكَ، إنَّما كُنْتُ خَلِيلًا مِن وراءَ وراءَ، اعْمِدُوا إلى مُوسَى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولُ: لَسْتُ بصاحِبِ ذلكَ، اذْهَبُوا إلى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ ورُوحِهِ، فيَقولُ عِيسَى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَسْتُ بصاحِبِ ذلكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَقُومُ فيُؤْذَنُ له، وتُرْسَلُ الأمانَةُ

والرَّحمُ، فَتَقُومان جَنَبَتَي الصِّراط يَمينًا وشمالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كالْبَرْقِ قَالَ: قُلتُ: بأَبي أنْتَ وأُمِّي أيُّ شيءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قالَ: أَلَمْ تَرَوْا إلى الْبَرْقِ كيفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشَدِّ الرِّجالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمالُهُمْ ونَبِيُّكُمْ قائمٌ على الصِّراط يقولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتَّى تَعْجِزَ أعمالُ العباد، حتَّى يَجيءَ الرَّجُل فلا يَسْتَطيعُ السَّيْرَ إلاَّ زَحْفًا، قالَ: وفي حافَتَي الصِّراط كَلاليبُ مُعَلَّقَةٌ مأْمُورَةٌ بأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِه، فَمَخْدُوشٌ ناجٍ، ومَكْدُوسٌ في النَّار. والذي نَفْسُ أبي هُرَيْرَةَ بيَده إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَريفًا» (رواه مسلم).

وفي رواية: «وتُرْسَلُ الأمانةُ والرحمُ، فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، تجري بهم أعمالُهم» (رواها السيوطى في الجامع الصغير، وصححها الألباني).

### ٣٨- يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين، والأمانة:

وفي رواية: «الشَّهيدُ يُغفَرُ له كلُّ ذنبٍ إلاَّ الدَّينُ أو الأمانةُ، فإذا كان يومُ القيامة قيل له: أدِّ عن أمانتك، أو أدِّ الأمانة، فيقولُ: يا ربِّ، ذهبَت الدُّنيا فمنْ أينَ أؤدِّيها، فيُنطلقُ به إلى الهاوية، فإذا أمانتُه في قعرها، فهوى فيها ليأخذَها، فإذا أخذها ليُخرجها زلَّتْ من يده وهوى خلفها، فلا تزالُ تزِلُّ من يده ويَهوي خلفها في الهاوية» (رواه أحمد في مسائله بسند جيد).

### ٣٩- عقوبة خائن الأمانة:

عن ابن مسعود قالَ: «القتلُ في سبيل الله يُكفِّرُ الذُّنوبَ كلَّها إلاَّ الأمانةَ قالَ يؤتَى بالعبد يومَ القيامة وإن قُتل في سبيل الله فيقالُ لَهُ أدِّ أمانتك فيقول أي ربِّ كيفَ وقد ذهبت الدُّنيا فيقالُ انطلقوا به إلى الهاوية وتمثَّلُ لَهُ الأمانةُ كَهيئتها يومَ دُفعت إليْه فيراها فيعرفُها فيَهوي في أثرِها حتَّى يدركَها فيحملُها على منْكبه حتَّى إذا ظنَّ أنَّهُ خارجٌ زلَّت عن منْكبه فَهوَ يَهوي في أثرها أبدَ الآبدينَ، ثمَّ قالَ الصَّلاةُ أمانةٌ والوضوءُ أمانةٌ والوزنُ أمانةٌ والكيلُ أمانةٌ وأشياءُ عدَّدَها وأشدُّ ذلكَ الودائعُ» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب، وحسنه الألباني).

وفي رواية: عن ابن مسعود قال: القتلُ في سبيل الله يكفِّرُ الذُّنوبَ كلَّها إلاَّ الأمانةَ، قال: يؤتَى بالعبد يومَ القيامة وإنْ قُتلَ في سبيل الله، فيقالُ: أدِّ أمانتَك، فيقولُ: أيْ ربِّ! كيف وقد ذهبت الدُّنيا؟ قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فيُنطلقُ به إلى الهاوية، وتمثل له أمانتُه كهيئتها يومَ دُفعَتْ إليه، فيراها فيعرفَها، فيهوي في أثَرها حتَّى يدركَها فيحملَها على منكبيه، حتَّى إذا نظر ظنَّ أنَّه خارجٌ زلَّتْ عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبدَ الآبدينَ، ثمَّ قال: الصَّلاةُ أمانةٌ، والوضوءُ أمانةٌ، والوزنُ أمانةٌ، والكيلُ أمانةٌ وأشياءُ عدَّدها، وأشدُّ ذلك الودائعُ. قال يعني زاذانُ: فأتيتُ البراءَ بنَ عازبٍ فقلتُ: ألا ترَى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال: كذا. قال: كذا. قال: صدقَ، أما سمعتَ الله يقولُ: «إنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححها الألباني).

نسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال وأن يجنبنا سيئَ الأخلاق والأعمال.

والحمد لله رب العالمين.

تنتشرون ٢٠ ومن ءايته أن خلق لكم
أزوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم

# الزواج وطموحات المرأة

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى شرع الزواج، ونظم حياة هذا البناء العظيم والصرح الشامخ، الذي تأسس وبُني على ميثاق غليظ، وحلت فيه المحرمات من الفروج بكلمة الله، وأخذت الزوجة إلى بيت زوجها بأمانة الله، ثم لتمام هذا البناء واستقراره واستمراره، حدد الشرع للزوجين حدودًا لا ينبغي تعديها، وأوجب واجبات وحقوقًا لا يصلح الإهمال والتفريط فيها، فمن استقام كما أُمر سعد وعاش حياة طيبة، وانتقل من تلك الدنيا الفانية لينال رضوان الله في الجنة والسعادة الباقية، ومن لم يستقم على نظام الشرع فلن يجني في دنياه إلا الشقاء، ويا ويله في القيامة عندما يجتمع الخصوم والفُرقاء.

وفي هذا المقال نتعرض لما يكون بين الزوج وزوجته من اتفاقات عند الخطبة أو بعد العقد عليها على رغبات للزوجة وطموحات تطمح إليها وهي في بيت زوجها، سواء اتفق عليها من قبل أو جَدَّت ولم يكن اتفاق، وما هي حدود طموحات المرأة في بيت زوجها وما يجوز منها وما لا يجوز، وما هي قدرة زوجها في التجاوب مع طموحاتها بحيث لا يضرها ولا تضره.

## التربية وأثرها في نوعية الطموحات

مما لا شك فيه أن للوالدين دورًا عظيمًا في التربية والتوجيه والإعداد لابنتهما لتكون مسؤولة في بيت الزوجية، وتلقينها المبادئ التي تساعد في تقوية دعائم البيت الجديد، وليس تقويضه والإتيان على بنيانه من القواعد فيخر السقف على رأسها ورأس زوجها والأسرتين جميعًا.

وتُفَهَّم البنت (العروس) أنها ستنتقل إلى بيت يملكه رجل غير والدها، وهو السلطان عليها- بالمعروف طبعًا- ، وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوانٍ عندكم» يأمر الرجل بحسن العشرة لزوجته، (ويُفهم منه أنها «عانية، أي أسيرة، شبههن بالأسراء عند الرجال لتحكمهم فيهن)». (تحفة الأحوذي ٥/٣٨٣) ﴾.

وهذا التحكم بما حكَم الله تعالى وليس إذلالاً أو سيطرة وتسلطًا جهولاً، فالله تعالى جعل الرجل قائدًا للمرأة وهي تابعة متابعة له بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وتربية البنات على هذا المفهوم والأزواج كذلك، يجعل طموحات المرأة تدعيمًا للبيت المسلم والأسرة، وليس هدمًا له، والضابط في ذلك القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار» بمعنى «لا يضر أحد أحدًا ابتداءً، ولا يضره إن ضَرَّه وليصبر، وإن انتصر فلا يعتدي ونحو هذا كما قال

صلى الله عليه وسلم: «ولا تخن من خانك»». (الاستذكار لابن عبد البر: ٧/١٩١).

فلا يصلح للمرأة أن تطمح لشيء فيه إضرار بزوجها، كوظيفة مثلاً يكون عملها فيها بالليل، وعمل زوجها في النهار، أو في عمل يستغرق نهارها كله، فإذا أتاها الليل لم تستطع أن تصنع لزوجها ولا لبيتها ولا لأولادها شيئًا، أو يكون طموحها في عمل يصطدم مع غيرة زوجها كمخالطتها الشباب والرجال والسفر معهم أو الخلوة بهم، فكل هذا متعارض مع نصوص الشرع وكل هذا يتأكد أكثر إذا كان الزوج قائمًا بدوره في الإنفاق والعشرة بالمعروف، ليس كثير التهديد بالطلاق؛ يمين الفساق.

### عهود ووعود

قد يحدث عند الخطبة أو أثناء العقد أن تطلب الزوجة من زوجها مطالب وطموحات تسعى لتحقيقها، ولأن الزوج عسلان وهايم، فإنه يقبل، بل ويرحب، خاصة أن الكلام سهل، وهو لا يريد أن يعكر صفوه ومزاج خطيبته، فيقال لها وله: اطلبي ما يدعم الحياة الزوجية ولا ينغصها، ولا يوقع بزوجك الحرج مستقبلاً، ويقال له: لا تتسرع في الإجابة والقبول حتى تستشير أهل العلم والخبرة؛ «فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل:٤٣).

لأن الذي يعد ويسرف في الوعود، ويتمسكن حتى يتمكن، فلما تمكن أعرض وأشاح، مثل هذا لا يقال فيه اقل من أنه كذاب؛ إذا حدث كذب، وفيه خصلة من خصال المنافقين حتى يدعها، وقد يحدث أن يعد الزوج زوجته وعدًا في ظنه أنه يقدر عليه ولا يتعارض مع حياته الزوجية، كأن يوافق على توظيف زوجته إذا جاء دورها في الوظيفة، لكنه يفاجأ بأن الوظيفة جاءت في بلد غير بلده التي يقيم بها، أو سيكون في هذه الوظيفة محظور شرعي، كسهرها بالليل، وفي خلطة رجال ومجال فتنة، فعندها فالشرع حكمٌ عليها، في أن طاعة الله واجبة على الجميع لا يعارضها عمل ولا طموح، كما أن حقوق الزوج التي هي من مقاصد الزواج: «لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا» (الروم:٢١)؛ لابد من أدائها قبل كل عمل وكل طموح خاصة كما قلنا: إن كان الزوج قائمًا بواجباته التي شرعها الله عز وجل نحو زوجته.

ولكن يساعد في تعقد هذه المسألة أكثر إذا كان الزوج سيئ العشرة، كثير التهديد بالطلاق، بل قد يكون أوقع بزوجته طلقة أو طلقتين فعندها إذا أصرت زوجته على التكسب والعمل احترازًا من غدر زوجها حينما يطلقها الطلقة الأخيرة، وتحضرهم الشياطين فيفرط في نفقتها هي وأولادها ومسكن حضانة الأولاد وغير ذلك، لكن يقال للمرأة: إذا كانت علاقتك انقطعت بزوجك فلم تنقطع بربك سبحانه وتعالى فراقبيه وخافيه، واعملي لليوم الذي فيه تلاقيه: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق:٣)، «وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة:٢٨١). وعلى المرأة قبل أن تناوش زوجها في طموحاتها أن تقيس كل ذلك على مقاصد الزواج، ولماذا كان الزواج.

### مقاصد الزوج

إن تعليم الأزواج مقاصد الزواج مما يريح الحياة الزوجية، ويجعل سعي الزوجين مركزًا لتحقيق تلك المقاصد، التي منها:

أولاً: السكن والسكينة فيما بين الزوجين، وذلك قول الله تعالى: «وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً» (الروم:٢١).

ثانيًا: الاستفادة من النعمة الربانية العظيمة والمنحة الجليلة التي خص الله بها الزوجين دون غيرهما، وهي المودة والرحمة، كما قال الطبري رحمه الله في تفسيرها: «مودة تتوادون بها وتتواصلون من أجلها، ورحمة رحمكم بها فعطف بعضكم بذلك على بعض». (تفسير الطبري: ٢٠/٨٦).

ثالثًا: بالزواج يقضي كل من الزوجين وطره، ويغض بصره، ويحفظ فرجه، ويجد مصرفًا حلالاً لغريزته وشهوته، «مَن اسْتَطاعَ الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجاءٌ». (البخاري: ١٩٠٥ عن ابن مسعود)، ويرفع الزواج العنت عن الزوجين، وهو: «الضرر في الدين والبدن، أو الوقوع في الزنا، والتعرض

لحده وعقوبته». (تفسير الطبري ٨/٢٠٤). لقوله تعالى: «ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ» (النساء:٢٥).

رابعًا: السعادة بالذرية التي هي في الدنيا قرة عين، وفي الآخرة يباهي الرسول صلى الله عليه وسلم بها الأمم، ومن منا لا يحب أن يباهي الرسول صلى الله عليه وسلم بأولاده يوم القيامة، لكن هل يباهي الرسول صلى الله عليه وسلم بأولاد منحرفين شردهم الطلاق، وحرفهم ما بين الأبوين من شقاق، وهل باهى بتاركي الصلاة وشاربي الخمور وفاعلي الفجور؟!

### حدود حرية المرأة في بيت زوجها

هل تعلم كل زوجة أنها كانت في بيت أبيها تأخذ إذنها من والدها، ثم لما تزوجت صار والدها هو الذي يستأذن زوجها في ابنته، فلو أراد والداها أن تزورهم ابنتهما يومًا في بيت أبيها لوجب عليه أن يستأذن زوجها، وللزوج القبول أو الرفض (بدون تعنت)، فإذا كان الأمر كذلك، فليس للمرأة الحرية المطلقة عند زوجها، فإنها تحت قوامة رجل وله الأمر والنهي عليها، (بدون تعنت)، وعليها السمع والطاعة، خاصة إذا قام زوجها بحقوقها.

### حقوق المرأة على زوجها

عن معاوية بن حيدة القشيري: قلتُ يا رسولَ الله، ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعمَها إذا طعمتَ، وتكسوَها إذا اكتسيتَ، ولا تضربَ الوجهَ، ولا تُقبِّح، ولا تهجُرَ إلا في البيت». (أخرجه أبو داود (٢١٤٢) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٣١)، وأحمد (٢٠٠٢٢) مطولاً). وفي حجة الوداع قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «وَلَهُنَّ عليكم رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف». (مسلم: ١٢١٨).

### المقبول والمرفوض من الطموحات

قد تطلب الزوجة من زوجها أن تلتحق بحلقة قرآنية تحفظ القرآن، أو تُحفّظه لغيرها، فهذا مطلب مشروع، وطموح إلى الخير، وعلى الزوج أن يستجيب ما دام الأمر متاحًا بدون ضرر ولا ضرار، ولا فتنة ولا خوف التعرض للأشرار، ورفض الزوج شيئًا كهذا بلا مبرر مقنع ومقبول يعد ضربًا من ضروب التعنت وتصدير العقل البطال، وقد قال النبي القدوة صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن معلمًا ميسرًا». (صحيح الجامع: ١٨٠٦).

والحديث يدعو إلى البعد عن الشدة، والقوة في التعامل مع الناس، ومراعاة جانب التيسير عليهم، مع الأخذ في الاعتبار أنه ليس معنى التيسير التساهل في إنكار المنكرات، أو تمييع الدين، وإن من أعظم أسباب نجاح الدعوة في الناس التيسير والترفق معهم، فأولى بالزوج أن يكون رفيقًا بزوجته، «من يحرم الرفق يحرم الخير كله». (رواه مسلم عن جرير بن عبد الله)، وهذا يعني خسرانًا كثيرًا في جوانب متعددة في دينه ودنياه.

لكن ربما طمحت الزوجة أنها كلما ظهرت لها شهادة علمية طارت وراءها لتقضي الأوقات في تحصيلها، فأخذت الماجستير، فظهرت لها الدكتوراه، ثم ظهر لها كورس تعليمي.. وهكذا، حتى يشغلها ذلك عن حق بيتها وزوجها، فهذه زوجة أرادت أن تعيش لنفسها فقط، وكما قالوا: ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط، فأين حق زوجها وأولادها وأرحامها وبدنها وبيتها وقبل كل ذلك حق ربها؟ قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لربِّكَ عليْكَ حقًّا، ولنَفْسكَ عليْكَ حقًّا، ولأهلكَ عليْكَ حقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ» (صحيح البخاري ٦١٣٩).

وهذا الحديث كان تقريرًا لقول سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو ينصح أخاه أبا الدرداء، رضي الله عن الجميع، فالإسلام دين توسط واعتدال يجمع بين مطالب الدنيا ومطالب الدين، والعاقل من يبتغي بدنياه الدار الآخرة، «وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ» (القصص:٧٧).

فهذا التوسط والاعتدال، والمرأة التي عاشت لدنياها فقط ضيعت بقية الحقوق فلا خير فيها ولا في عملها، ومثلها يضر ولا ينفع.

نسأل الله تعالى أن يسعدنا في بيوتنا، وأن يبارك في الأزواج والأولاد، والله تعالى من وراء القصد.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٣٢٤)

# قصة جهر عمر رضي الله عنه بإسلامه

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

### أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

**١- إن الأزهر الشريف-حفظه الله من الواهيات والمنكرات- جعل هذه القصة من مقررات الصف الثاني الإعدادي؛ حيث يدرس على طلاب هذه المرحلة في كتاب «الدراسات الاجتماعية» (ص٥٢)، الفصل الدراسي الأول ط ٢٠١٩/٢٠٢٠م، فهو من مقررات هذا العام، وكذلك كان مقررًا في العام الماضي.**

**٢- وبالبحث كما هو مبين من غلاف الكتاب، وجدنا أن القيّم على كتاب «الدراسات الاجتماعية» منهجًا وإعدادًا وطبعًا: هي وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني.**

**٣- وبهذا أصبح هذا الكتاب منهجًا من مناهج التعليم لآلاف الطلاب كل عام في مرحلة من أهم مراحل التعليم في مؤسستين رسميتين منوط بهما التعليم من بين مؤسسات بلدنا مصر، حفظها الله من الواهيات والمنكرات والبليات.**

**٤- لو كان كتابًا ألفه شخص للعامة، لا يهمنا بيان ما فيه من واهيات، أمّا أن يكون منهجًا تربويًا علميًا للآلاف من أبنائنا وأحفادنا في هذه المرحلة من التعليم، فلا بد من البيان لأهمية هذه المرحلة؛ حيث إن هذه المرحلة يكون الطالب فيها بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة من عمره، هذا السن من المرحلة الإعدادية هو السن الذي يُنشأ عليه ناشئ الفتيان وعنى به النبي صلى الله عليه وسلم تربية وسلوكًا واعتقادًا في العصور المظلمة للعالم ليخرجهم من الظلمات إلى النور.**

**٥- وعلى سبيل المثال لا الحصر لتربية وتعليم النشء ما ثبت في هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩٣/١) (ح٢٦٦٩)، وصححه الشيخ شاكر، والإمام**

الترمذي في «السنن» (٥٧٦/٤) (ح٢٥١٦) وقال: «حسن صحيح»، ونقل الشيخ الألباني قول الإمام الترمذي في «السنة» لابن أبي عاصم (ح٣١٦)، وقال: «هو كما قال». اهـ. وكذلك ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٤٢٥) من حديث ابن عباس قال: «كُنْتُ خلفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلامُ إنّي أعلِمُكَ كلمات: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهك، إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ، واعْلمْ أنَّ الأمّةَ لو اجتمعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إلّا بشيءٍ قد كتَبَهُ اللهُ لكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لمْ يَضُرُّوكَ إلّا بشيءٍ قد كتَبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ».

ما أعظمها من تربية ربى النبي صلى الله عليه وسلم النشء سلوكًا وتوحيد واعتقاد، خاصة في مسألة القدر التي افتتح بها الإمام مسلم صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني يزعم هو ومن تبعه أن لا قدر وأن الأمر أنف... «الحديث».

انظر كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم النشء وحصنهم من ضلال الضالين وانتحال المبطلين.

لقد ذكرت هذا المثال حتى لا يستهان بعض من لا دراية لهم بمرحلة تنشئة النشء خاصة وأن الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤٧٨٤/١٤١/٤) بيّن الفترة التي تعلم فيها ابن عباس من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: وُلد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وبنو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، ثم بين أنه كان عند موت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة.

ولقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٧٥) عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «اللهم علِّمه الكتاب». اهـ.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٧٥٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم علِّمه الحكمة».

ولقد بيّنت ذلك حتى لا يُستهان بالنشء في هذه المرحلة فتوضع لهم مناهج بها الواهيات والمنكرات والتي يكون لها الأثر السيئ في حياتهم.

٦- ومن الأسباب التي تحتم علينا بيان حقيقة هذه القصة التي جاء بها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في دار الأرقم بن أبي الأرقم مختفيًا خائفًا حتى جاءه عمر بن الخطاب وأعلن إسلامه وقال له: لماذا تخشى قريشًا؟

قلت: وهذا جاء في كتاب «الدراسات الاجتماعية» (ص٥٢)، وكأن عمر رضي الله عنه كان أشجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه القصة الواهية المنكرة والتي فيها عمر رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له: «لماذا تخشى قريشًا؟» وهو الذي أنزل عليه: «ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا» (الأحزاب: ٣٩).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أشجع من مشى على الأرض وسيرته الصحيحة المطهرة تشهد بذلك في «الغار» وفي مواجهة سراقة، بل ويوم حنين الذي قال فيه رب العزة: «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ» (التوبة: ٢٥).

ولقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٣١٧) من حديث البراء بن عازب سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَفِرّ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلغته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب». اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦٢٧/٧): «وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة

في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو». اهـ.

٧- ومن الأسباب التي تحتم علينا بيان حقيقة هذه القصة الواهية التي جعلوها منهجًا لتربية آلاف الطلاب، فقد جاء في «الكتاب» (ص٥٢) أن عمر رضي الله عنه يحلف على النبي أن يخرج من هذا الاختفاء فيقول: «والذي بعثك بالحق لتخرجن فخرجوا هو في صف وحمزة بن عبد المطلب في صف آخر من المسلمين...».

قلتُ: وأهل الحديث يعرفون الأثر السيئ لهذه القصص الواهية في الأمة، فكيف إذا جعلت منهجًا في التربية بالمؤسسات العلمية. يقول الشيخ الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٤/٧٤) بعد أن بيّن شدة ضعف هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة قال: «ولعل ذلك كان السبب أو من أسباب استدلال بعض الدعاة على شرعية (المظاهرات) المعروفة اليوم، وأنها كانت من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة ولا تزال بعض الجماعات تتظاهر بها».

ثم بين أنها تتنافى مع قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الهدي هدي محمد».

### ثانيا: المتن:

رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «شرحَ اللهُ صدري للإسلام فقلتُ: اللهُ لا إلهَ إلا هو له الأسماءُ الحُسنى فما في الأرض نسمةٌ أحبُّ إليَّ من نسمة رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم، قلتُ: أينَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بنِ أبي الأرقم عندَ الصَّفا، فأتيتُ الدارَ وحمزةُ في أصحابه جلوسٌ في الدارِ ورسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم في البيت، فضربتُ البابَ فاستجمعَ القومُ فقال لهم حمزةُ: ما لكم؟ قالوا: عمرُ، قال: فخرجَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم فأخذَ بمجامعِ ثيابه ثم نَترَهُ نَترةً فما تمالكَ أنْ وقعَ على ركبتيه فقال: ما أنتَ بمُنتَهٍ يا عمرُ. قال: فقلتُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ. قال: فكبَّرَ أهلُ الدارِ تكبيرةً سمعها أهلُ المسجد. قال: فقلتُ: يا رسولَ الله ألسْنا على الحقِّ إنْ متْنا وإنْ حَيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيدِه إنكم على الحقِّ إن متُّمْ وإن حَييتمْ. قال: فقلتُ: ففيمَ الاختفاءُ؟ والذي بعثك بالحقِّ لتخرجنَّ. فأخرجناهُ في صفَّيْنِ حمزةُ في أحدهما وأنا في الآخرِ له كُديْدٌ ككُديْدِ الطَّحينِ حتى دخلنا المسجدَ، قال: فنظرتْ إليَّ قُريشٌ وإلى حمزةَ فأصابتهم كآبةٌ لم يُصبهم مثلُها، فسمَّاني رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ يومئذٍ الفاروقَ وفرَّقَ اللهُ به بينَ الحقِّ والباطل».

### ثالثا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام أبو نعيم في «الحلية» (١/٤٠) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا محمد بن أبان، عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، عن عمر بن الخطاب به.

قلت: وبهذا الإسناد أخرجها أبو نعيم في «الدلائل» (ص١٩٤)، فأين هذا الإسناد للجان تضع مناهج؟! حيث قال الإمام ابن المبارك كما في «مقدمة صحيح مسلم»: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

### رابعا: التحقيق:

هذه القصة واهية، وعلتها إسحاق بن عبد الله.

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٣٦٢/٥٧/٢) وقال: «إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة روى عن أبان بن صالح». اهـ.

٢- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٠): «متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٣- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» ترجمة (٢٠): «إسحاق بن عبد الله بن

أبي فروة تركوه».

٤- قال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٩٤): «متروك». اهـ.

٥- وقال علي بن الحسن الهسنجاني، عن يحيى بن معين: «كذاب». كذا في «تهذيب الكمال» (٦١/٢).

٦- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٣١/١): «كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، وكان أحمد بن حنبل ينهى عن حديثه». اهـ.

٧- وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٨/٢) رقم (٧٩٢): سمعت أبي يقول: «إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: متروك الحديث».

٨- ثم أخرج الإمام الحافظ ابن أبي حاتم بسنده عن الإمام يحيى بن معين قال: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة لا شيء كذاب». اهـ.

٩- ثم قال الإمام ابن أبي حاتم: «سمعت أبا زُرعة يقول: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ذاهب الحديث متروك الحديث». اهـ.

١٠- ثم أخرج الحافظ ابن أبي حاتم بسنده إلى عمرو بن علي الصيرفي حدثه: «بأن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك». اهـ.

١١- ولقد بين هذا الترك الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٢٦/١) (١٥٤/١٥٤) في ترجمة بلغت أكثر من ثمانين سطرًا ختمها قائلاً: «وإسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة هذا ما ذكرت هاهنا أخباره بالأسانيد التي ذكرت فلا يتابعه أحد على أسانيده، ولا على متونه، وسائر أحاديثه مما لم أذكره تشبه هذه الأخبار التي ذكرتها وهو بين الأمر في الضعفاء». اهـ.

## الاستنتاج

نستنتج مما أوردناه من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الذي هو علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة لا شيء، متروك الحديث، كذاب، فهذا الخبر موضوع بما بيناه من أقوال الأئمة.

والموضوع كما بيّنه الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١): «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

## خامسًا: الصحيح الذي جاء في قصة إسلام عمر رضي الله عنه:

لقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب «المناقب» بابًا برقم (٣٥) «إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه»، وتحت هذه الترجمة أخرج الحديث (٣٨٦٥) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ، وَقَالُوا: صَبَا عُمَرُ، وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ، فَمَا ذَاكَ فَأَنَا لَهُ جَارٌ، قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصَدَّعُوا عَنْهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ. اهـ.

وتحت هذه الترجمة أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٦٤) من حديث ابن عمر: قَالَ بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ خَائِفًا إِذْ جَاءَهُ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو عَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٍ وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُكَ؟ قَالَ: زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي إِنْ أَسْلَمْتُ. قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا أَمِنْتُ فَخَرَجَ الْعَاصِ فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَا قَالَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ فَكَرَّ النَّاسُ». هذا الحديث أورده الإمام المزي في «تحفة الأشراف» (٣٥٠/٥) (ح٦٧٤٣)، فمن الذي كان خائفًا مختفيًا؟

حفظ الله أبناءنا من المناهج المكذوبة المفتراة التي لا أصول لها.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

# قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

**تابع: أدلة القرآن على إثبات صفتي (النداء) و(الكلام) لله تعالى بالصوت والحرف على الحقيقة، وعلى الوجه الذي يليق بجلاله.. ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيالهما بتأويلهما وقصرهما على (الكلام النفسي)**

**الحلقة (٦٢)**

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن أدلة القرآن على إثبات صفة الكلام لله تعالى بالصوت والحرف على الحقيقة، من غير ما سبق:

### جـ- ما جاء بشأن سبق كلمته تعالى وأن ليس لسعة علمه وكلامه نهاية لعدم نفادهما:

١١- وهذا ما عنون البخاري له بباب: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ) (الصافات/١٧١)، فقد قصد به بيان أن السبق على الإطلاق يقتضي: سبق كل شيء سواه.. وقد نقل ابن التين عن الداودي قوله: «في حديث الباب - يعني به: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب..) (الحديث) - ردٌّ على من قال - من الأشاعرة -: إن الله لم يزل متكلماً بجميع كلامه، لقوله عليه السلام: (فيؤمر بأربع كلمات)، فإن الأمر بالكلمات إنما يقع عند التخليق - وهو حادث متجدد ومتعدد - وكذا قوله: (ثم يَنفخ فيه الروح)، وهو إنما يقع بقوله: (كن) وهو من كلامه سبحانه». (كذا في الفتح ١٣/ ٤٥٠).

١٢- وما عرَض له البخاري تحت باب: (قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا) (الكهف: ١٠٩)؛ حيث أشار ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٥٣ إلى أن الآية نزلت في اليهود لما سألوه عن الروح ونزل قوله تعالى: (قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٨٥)، وقولهم بعد نزولها: (كيف وقد أوتينا التوراة؟)، فنزلت: (قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا) (الآية).. وعن قتادة أن المشركين قالوا في القرآن: (يوشك أن ينفد)، فنزلت.

وعن بعض أهل العلم بعد أن احتج بالآية، قوله - وقد ساقه له ابن حجر-: في الآية ما «يدل على أن القرآن غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً لكان له قدْر وكانت له نهاية، ولنفد كنفاد المخلوقين»، وهذا هو وجه الاستدلال بها.. وللبيهقي في تفسيرها قوله في (الاعتقاد) ص٧٧: «لو كانت البحار مداداً

يُكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات الله كما لم يلحق الفناء علم الله، لأن من فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا صح أنه لم يزل متكلماً ولا يزال، وقد نفى سبحانه النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه »إ.هـ.

وكان البيهقي في (الأسماء والصفات) ص ٣٧٩، قد احتج بالآية على جماعة كانوا يزعمون أن الله لا يتكلم بعدما تكلم في الأزل- على ما يقتضيه كلام الأشاعرة - حتى طالت خصومهم، فأملى بعضهم اعتقاده واستصوبه ابن خزيمة وارتضاه، وكان فيما أملي: «من زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة، ولا يتكلم إلا ما تكلم به ثم انقضى كلامه كفر بالله، بل لم يزل الله متكلماً ولا يزال، لا مثل لكلامه لأنه صفة من صفات ذاته، نفى الله المثل عن كلامه كما نفى المثل عن نفسه، ونفى النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن نفسه».

١٣-وقوله: ( وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ) (لقمان/٢٧)، وفيما تعنيه هذه الآية يقول أبو الجوزاء -وبنحوه عن قتادة والربيع-: (لو كان كل شجرة في الأرض أقلاماً والبحر مداداً، لنفد الماء وتكسرت الأقلام، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء).. وقد ذكر البيهقي هذه الآية ضمن ما عنون له ص٢٥٧ بقوله: (جماع أبواب إثبات صفة الكلام وما يُستدل به على أن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ولا حادث).

### د -ما جاء دالاً على أن كلامه تعالى صفة قائمة به، وأنه لم يزل ولا يزال متكلماً بحرف وصوت:

١٤-وهذا أتى به البخاري تحت عنوان: «باب قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ) (الفتح/١٥)، (إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ)، أي: حق، (وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ) (الطارق/١٣، ١٤): باللعب»، وفيه نقل ابن حجر في الفتح ١٣/٤٧٥ عن ابن بطال قوله: «أراد - البخاري - بهذه الترجمة وأحاديثها ما أراد في الأبواب قبلها: أن كلام الله صفة قائمة به، وأنه لم يزل متكلماً ولا يزال.. والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن، فإنه ليس نوعاً واحداً كما تقدم نقله عمن قاله، وأنه وإن كان غير مخلوق وهو صفة قائمة به، فإنه يُلقيه على من يشاء من عباده بحسب حاجتهم في الأحكام الشرعية وغيرها من مصالحهم، وأحاديث الباب كالمصرحة بهذا المراد »إ.هـ.

ويأتي في معنى ما سبق، ما جاء في قوله تعالى: (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ) (الأنعام/١١٥)، (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ) (يونس/٦٤)، (وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ) (الأنفال/٧)، (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون..) (يونس/٨٢)، (وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ) (يونس/٩٦)، (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ) (الأعراف/١٣٧)، (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) (هود/١١٩)، فأعلم الله في كل ذلك، أن له كلمة يتكلم بها.

١٥- ومن صريح أدلة القرآن على إثبات كلامه تعالى حقيقة، وأنه بحرف وصوت يليقان بجلاله، ما جاء عن قتادة في معنى: (فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ) (النمل/٨: ١٢)، قال: «صوت رب العالمين» ذكره ابن خزيمة، ونظير آية النمل آيات القصص/٣٠: ٣٥، فقد روي عبد الله بن أحمد عن نوف قال: (لما نودي موسى من شاطئ الوادي، قال موسى: من أنت الذي تناديني؟، قال: أنا ربك الأعلى)، «والذي تعْقله الأمم من النداء، إنما هو: الصوت المسموع كما قال تعالى: (وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ) (ق: ٤١)، وقال: ( إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ) (الحجرات: ٤).

١٦- وما جاء في قوله تعالى: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ) (سبأ: ٢٣).. حيث بوّب البخاري لهذه الآية، وعقب يقول: إنه تعالى قال على لسان ملائكته: (ماذا قال ربكم؟) «ولم يقل ماذا خلق ربكم»، وساق في ذلك قول ابن بطال- وقد نقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣/٤٦٢-: «استدل البخاري بهذا على أن قول الله قديم لذاته، قائم بصفاته،

لم يزل موجوداً به، ولا يزال كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، خلافاً للمعتزلة التي نفت كلام الله، وللكلابية في قولهم: (هو كناية عن الفعل والتكوين)، وتمسكوا بقول العرب: (قلت بيديَ هكذا) أي: حرَكتها، واحتجوا بـ (أن الكلام لا يُعقل إلا بأعضاء ولسان، والباري منزه عن ذلك)، فرد عليهم البخاري بحديث الباب والآية، وفيهما: أنهم إذا ذهب عنهم الفزع، قالوا لمن فوقهم: (ماذا قال ربكم)، فدل ذلك على أنهم سمعوا قولاً لم يفهموا معناه من أجل فزعهم، فقالوا: (ماذا قال؟) ولم يقولوا: (ماذا خلق؟)، وكذا أجابهم من فوقهم من الملائكة بقولهم: (قالوا: الحق)، و(الحق) أحد صفتي الذات التي لا يجوز عليها غيره لأنه لا يجوز في كلامه الباطل، فلو كان خلقاً أو فعلاً لقالوا: (خلق خلقاً، إنساناً أو غيره)، فلما وصفوه بما يوصف به الكلام لم يجز أن يكون (القول) بمعنى: (التكوين)» ا.هـ.

وفي خلاصة ما قيل في هذا يقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥٢٧/٦ ما نصه: «ليس في الأئمة والسلف من قال: إن الله لا يتكلم بصوت، بل ثبت عن غير واحد من السلف والأئمة: أن الله يتكلم بصوت، وجاء ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة، وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التي فيها تكلم الله بالصوت ولا ينكرها منهم أحد، حتى قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: (يا بُني هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل)، ثم ذكر بعض الآثار المروية في ذلك، وكلام البخاري في كتاب (خلق الأفعال) صريح في أن الله يتكلم بصوت، وفرق بين صوت الله وأصوات العباد» اهـ

١٧-هذا، ومن أدلة القرآن على إثبات الكلام لله على حقيقته: قوله تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) (الأعراف/١٥٨)، كذا بإخبار الله لنا أن النبي الأمي كان يؤمن بالله وبكلامه، وفي المراد بـ (كلماته) يقول الآلوسي في (روح المعاني ١٢٢/٦): يعني: "بما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه، وقُرئ (وكلمته) على إرادة الجنس، أو القرآن، أو عيسى عليه السلام.. والتصريح بالإيمان بالله للتنبيه على أن الإيمان به سبحانه لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به".

### هـ- ما جاء صريحا فيما إذا أراد سبحانه شيئا أن يقول له: (كن):

١٨-وذلك قوله: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) (الأنعام/٧٣)، وقوله: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل/٤٠)، وقوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس/٨٢)، فأخبر أن الأمر بقول (كن) متقدم على الشيء المكوَّن، ووجه الاستدلال بهذه الآيات أن "الرب يخلق بقوله وكلامه، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفى الخلق" كذا في الصواعق ص٥٠٩.

١٩-وقوله: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ) (النساء/١٧١)، والمعنى: أن الله تعالى "أوحى كلمته إلى مريم فصار عيسى بكلمته من غير أب، ثم بين الكلمة التي أوحى بها إلى مريم، فصار عيسى مخلوقاً، فقال: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران/٥٩)، فأخبر أن عيسى إنما صار مكوَّناً بكلمة (كن) من غير أب كما صار آدم بشراً بكلمة (كن) من غير أب وأم".

### و- ما جاء في إثبات الكلام مدلولا عليه بطريق المخالفة:

٢٠-وذاك قوله: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) (الأعراف/١٤٨)، وقوله: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) (طه/٨٩)، حيث عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تُكلم عابديها ولا تُرجع إليهم قولاً، والجهمية وصفوا الرب بصفة هذه الآلهة"، عياذا بالله من قولهم وممن قال بقولهم.. وفي الآيتين بيان أن عدم الكلام صفة نقص وأن الكلام صفة كمال فتكون لرب العزة من باب أولى، وفيهما ما يدل على أن نفي رجع القول ونفي التكليم، نقص يُستدل به على عدم ألوهية

العجل، قال بعض أهل العلم: (إن الجهمية هم المشبهة، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق).

٢١-ومثله ما جاء من الآيات دالاً على حرمان أهل الخسران من التلذذ بكلام الله له، وجعل عدم كلام تعالى لهم عقوبة حرمان، من نحو ما جاء في قوله تعالى عمن اشتروا بآيات الله وعهده وأيمانهم ثمناً قليلاً: (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) (البقرة/١٧٤، آل عمران/٧٧)، وقوله على لسان من غلبت عليهم شقوتهم وكانوا قوماً ضالين: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) (المؤمنون/١٠٧، ١٠٨)، كذا بما يقتضي: أن غضبه سبحانه سبب لمنع الكلام، وبما يعني بمفهوم المخالفة: إثبات كلامه تعالى لمن لم يكونوا كذلك، ونص عبارة ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص١٠٩ لتفسير آية آل عمران: "أهانهم بترك تكليمهم، والمراد انه لا يكلمهم تكليم تكريم، وهو الصحيح إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: (اخسئوا فيها ولا تكلمون)، فلو كان لا يُكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً".

### ز- ما جاء دالا على أن القرآن هو كلام الله على الحقيقة وليس النبي إلا مسمعا ومبلغا به عنه:

٢٢- ومنه قوله: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) (البقرة: ٧٥)، كذا بإضافته الكلام إليه إضافة معنى واضافة صفة إلى موصوف لا تنفصل عنه، كونه - شأن القدرة والإرادة والعلم - معنى من المعاني التي لا تقوم بنفسها، وانما تقوم بالموصوف بها.. وليس من نوع إضافة التخصيص والأعيان والتشريف كما في (ناقة الله) و(بيت الله) وقوله: (ونفخت فيه من روحي)، ولا الإضافة العامة التي تكون بمعنى الايجاد كما في (رب العالمين).. ودون أن يقول: (يسمعون خلق الله).. ونظيره:

٢٣-قوله تعالى في خطاب نبيه: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) (التوبة: ٦)، حيث "أثبت أن القرآن كلام الله، ولا يكون شيء واحد كلاماً للرسول وكلاماً لله". وعن مجاهد في هذه الآية قوله: "(إنسان يأتيه صلى الله عليه وسلم فيسمعُ ما يقول وما ينزل عليه، فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله ثم يُبلغه مأمنه)، ذكره البخاري في صحيحه ومقصده: "بيان أن قول العبد غير كلام الله"، إذ المعنى: "(حتى يسمع كلام الله) لا كلامك ونغمتك ولحنك، والا لو كان ما سمعوه من النبي ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم.

حـ- وأن أفعالنا - دون أفعاله، و(الكلام) واحد منها- هي المخلوقة:

٢٤- وهذا يدل عليه قوله: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) (الملك/١٣)، وقد ترجم البخاري بهذه الآية ليشير إلى أن القول أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره، فإن كان بالقرآن فالقرآن كلام الله، وهو من صفات ذاته فليس بمخلوق لقيام الدليل القاطع بذلك، وان كان بغيره فهو مخلوق بدليل قوله تعالى بعدها: (ألا يعلم من خلق) بعد قوله: (إنه عليم بذات الصدور).. يقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ٥١٠:

"وانما قصد البخاري الإشارة إلى النكتة التي كانت سبب محنته بمسألة اللفظ، فأشار بالترجمة إلى أن تلاوة الخلق تتصف بالسر والجهر ويستلزم أن تكون مخلوقة، وقد قال في (خلق أفعال العباد) ص٨٣ بعد أن ذكر عدة أحاديث دالة على ذلك: (فبيَّن عليه السلام أن أصوات الخلق وقراءتهم ودراستهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة، بعضها أحسنُ وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخفض وأغض وأجشع وأجهر وأخفى وأقصر وأمد وألين من بعض)"، وقال ص١٧٣ مستشهداً بآية الملك: "التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة.. ولا يشك عاقل بأن.. جميع القرآن هو قوله، والقول صفة القائل، موصوف به، فالقرآن قول الله تعالى والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق لقوله: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) (المزمل/٢٠)" ا.هـ.

والى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

# الإنسانة التي لا يمكن مكافأتها

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد أوجب الإسلام على الأبناء بر الوالدين، مهما كانوا عليه من أوضاع، أغنياء أو فقراء، مؤمنين بالله أو كافرين، بارين بالولد أو عاقين، محسنين إليه أو مسيئين، طالما لم يأمراه بمعصية الله عز وجل؛ لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمتْ عليَّ أمّي وهي راغبةٌ، وهي مُشركةٌ في عهد قُريشٍ ومُدَّتهم التي كانتْ بينهم وبينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ أمّي قدمَت عليَّ وهي راغبةٌ، وهي مُشركةٌ، أفأصلُها؟ قال: صليها قال: وأظنُّها ظئْرَها. (متفق عليه).

ثم بين النبي الأمين صلى الله عليه وسلم أن هذا البر من أفضل الأعمال الصالحة بعد الصلاة التي هي عمود الدين، عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه: سَألْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّه؟ قالَ: الصَّلاةُ على وقْتِها قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: برُّ الوالِدَيْنِ قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي. (صحيح البخاري: ٥٩٧٠).

هذا ما يكون من عناية الإسلام بالوالدين على العموم، وإنك لواجد بعد ذلك هالة من القداسة والإعزاز، تلك التي توج الإسلام بها الأم إكرامًا لها وتنويهًا بشأنها وقيامًا بحقها وجبرًا لخاطرها ومراعاة لضعفها وحفاظًا على دورها في التربية، لذا فإني أجد دليلاً يبين متى يجزي الابن أباه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَجْزِي ولَدٌ والِدًا، إلَّا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فيُعْتِقَهُ». (صحيح مسلم ١٥١٠).

ولم أجد فيما أعرف دليلاً يبين إمكانية أن يجزي الابن أمه وكيف لا؟ وقد حملتك أمك في أحشائها تسعة أشهر، وهنًا على وهن، حملتك

كُرهًا، ووضعتك كُرهًا، ولا يزيدها نموك إلا ثُقلاً وضعفًا، وعند الوضع رأت الموت بعينها.

وقال الله تعالى: « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ » (لقمان:١٤).

ولكن لما بَصُرتْ بك إلى جانبها سُرعان ما نسيت آلامها، وعلقت فيك جميع آمالها- بعد الله سبحانه- رأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم شُغلت بخدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها طعامك درُّها، وبيتك حجرُها، ومركبُك يداها، تجوعُ لتشبع أنت، وتسهرُ لتنام أنت، فهي بك رحيمةٌ، وعليك شفيقة، إذا غابت عنك دعوتها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثت بها، تحسب كل الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك إلى صدرها، أو لحظتك بعينيها.

ولطالما كانت تمسح عنك الأذى بيمينها، وتسهر عليك إذا اشتكيت، فلا تنام حتى تنام، ولا تستريح حتى تستريح، من أجل ذلك جعل الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للأم ثلاثة أرباع البر والطاعة وللأب ربع واحد لأنها حقل الإنبات الإنساني وموئل الفيض الرباني والمدرسة التي يتربى فيها الطفل فيأخذ من روحها وحنانها فكانت- وما زالت- مهد الطفولة الناشئة، إن عمل الأم الجميل ودورها الأصل يبدأ حين يصير الإنسان جنينًا في بطنها ثم يولد طفلاً صغيرًا لا يعرف شيئًا من أمور الحياة ثم صار فتى يافعًا وهي في كل هذه الأطوار تلازمها بحنانها وتعطف عليه بقلبها وتلاطفه بفؤادها ولا يفارقه قلبها حيثما حل وأينما سار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: جاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ. (أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)).

ثلاث أرباع البر جُعلت للأم وحدها، فكانت لفتة جميلة من الحديث انتظمت مع الآية الكريمة: « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا » (الأحقاف:١٥)، « حملته أمه كرهًا » هذه واحدة، « ووضعته كرهًا » هذه ثانية، « وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا »: هذه ثالثة- ثلاثة أعمال شاقة وكريمة في وقت واحد وكان لكل واحد منهما ربع البر والإحسان.

إن الإنسان مهما أحسن إلى أمه فلن يوفيها حقها، ولن يستطيع أن يعوِّضها عن تلك السنين التي أفنتها في خدمته وتربيته.

ولك أخي أن تتخيَّل هذا الموقف: شهِدَ ابنَ عُمرَ ورَجُلٌ يمانيٌّ يَطوفُ البيتَ حَمَلَ أُمَّهُ وراءَ ظَهْرِه يقولُ: إنِّي لها بَعيرُها المُذلَّل، إنْ ذُعِرَتْ ركابُها لم أذْعر، ثُمَّ قال: يا ابنَ عُمرَ، أتُراني جزَيْتُها؟ قال: لا، ولا بزَفْرةٍ واحدة. ثُمَّ طاف ابنُ عُمرَ فأتى المَقامَ فصلَّى ركعتينِ، ثُمَّ قال: يا ابنَ أبي موسى، إنَّ كلَّ ركعتينِ تُكفِّرانِ ما أمامَهُما. (صحيح الأدب المفرد ٩).

معنى: ولا بزفرة واحدة: المرة من الزفر وهو تردد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع.

سبحان الله: هذا التعب الذي تحمَّله الرجل وهو يحمل أمه ويؤدي بها المناسك، وهذه المشقة، والإعياء والمعاناة، ولك أن تتخيل الحرم وقد اكتظ بالطائفين، والزحام خانق، فظن الرجل أنه بذلك قد كافأها، ورد إليها بعض حقوقها، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: « لا، ولا بزفرة واحدة ». لا يفي بزفرة واحدة من زفرات الأم التي تعرضت لها عند الوضع، فكيف بإحسانها كلها إليك، وكيف بتاريخها الطويل معك ومع إخوتك وأخواتك؟

وقال رجل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: إن لي أمًا بلغ بها الكبر، وأنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها، فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك، وهي

تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

### ولقد جعل الإسلام بر الأم من أسباب السعادة في الدارين:

فهو من أسباب مغفرة الذنوب، فعن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما: أَنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسولَ اللَّه إنِّي أصبتُ ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبةٍ قال هل لكَ من أمٍّ؟ قال: لا، قال: هل لكَ من خالةٍ؟ قال: نعم، قال: فبرَّها. (صحيح الترمذي ١٩٠٤).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّهُ أتاهُ رجلٌ فقال إنِّي خطبتُ امرأةً فأبَتْ أن تنكحني وخطبها غيري فأحبَّتْ أن تنكحَهُ فغِرْتُ عليها فقتلتُها فهلْ لي من توبةٍ قال أمُّكَ حيَّةٌ قال لا قال تُبْ إلى اللَّه عزَّ وجلَّ وتقرَّبْ إليه ما استطعتَ.

قال عطاءُ بنُ يسارٍ: فذهبتُ فسألتُ ابنَ عبَّاسٍ لِمَ سألتَهُ عن حياةِ أمِّه فقال إنِّي لا أعلمُ عملًا أقربَ إلى اللَّه عزَّ وجلَّ من برِّ الوالدة. (صحيح الأدب المفرد ٤، والصحيحة: ٢٧٩٩)..

### ومن أسباب دخول الجنة:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: نمتُ فرأيتني في الجنَّة، فسمعتُ صَوتَ قارئٍ يقرأ، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا حارثةُ بنُ النُّعمانِ. فقال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: كذاكَ البِرُّ، كذاك البِرُّ. وكان أبَرَّ النَّاس بأمِّه.(رواه أحمد ٢٥١٨٢).

وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: كان رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبر من كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان، رضي الله عنهما، أما عثمان: فإنه قال: ما قدرتُ أتأمل وجه أمي منذ أسلمتُ، وأما حارثة: فكان يُطعمها بيده، ولم يستفهما كلامًا قط تأمر به، حتى يسأل مَنْ عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي. (التبصرة: ١/ ١٨٨).

### سبحان الله! هل اعتبر واتعظ أبناء اليوم؟

وعن طلحة بن معاوية السلمي: أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلتُ يا رسولَ اللَّه إنِّي أُريدُ الجهادَ في سبيل الله، قال: أمُّك حيَّةٌ؟ قُلتُ نعمْ. قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: الزمْ رجْلها فثَمَّ الجنَّةُ. (صحيح الترغيب: ٢٤٨٤).

وعن معاوية بن جاهمة السلمي: أنَّ جاهمة جاء إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال يا رسولَ اللَّه أردتُ أن أغزوَ وقد جئتُ أستشيرُك، فقال: هل لك من أمٍّ؟ قال: نعم. قال فالزمْها فإنَّ الجنَّةَ عند رجلها. (صحيح الترغيب: ٢٤٨٥).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أتاه فقال إنَّ لي امرأةً وإنَّ أمِّي تأمرُني بطلاقها فقال سمعتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقولُ الوالدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّة فإن شئتَ فأضعْ هذا البابَ أو احفظْه. (صحيح الترغيب: ٢٤٨٦).

### ومن أسباب إجابة الدعاء:

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: يأتي عليكُم أُوَيسُ بنُ عامرٍ مع أمْدادِ أهلِ اليمَنِ، من مُرادٍ، ثُمَّ من قَرَنٍ، كانَ به بَرَصٌ فبَرأَ منه إلا موضعَ درهمٍ، له والدةٌ هو بها

بَرٌّ، لو أقْسَمَ على اللهِ لأبَرَّهُ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فافْعَلْ فاسْتَغْفِرْ لي، فاسْتَغْفَرَ له. (مسلم: ٢٥٤٢).

الله أكبر، عمر الفاروق الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نَفْسي بيَدِه، ما لَقِيَكَ الشَّيْطانُ قَطُّ سالِكًا فَجًّا إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ». (البخاري: ٣٢٩٤).

عمر الفاروق أحد العشرة المبشرين بالجنة يطلب عن أويس التابعي أن يستغفر الله له، تُرى ما الذي سماه بهذا التابعي الجليل، وما الذي وصل به إلى تلك الرتبة العلية؟!

إن الذي أوصله إلى تلك المكانة السامية والدرجة العلية، والذكر الحسن أو شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له، الذي أوصله ذلك بره بأمه، فهكذا البر يصنع بالأبرار، وجعل الإسلام طاعة الأم وبرها مقدمًا على بعض أنواع العبادة، فللإنسان أن يقطع صلاة النفل كي يجيب أمه إذا دعته، وإن لم يفعل فقد أغضبها، وبهذا يكون قد أغضب ربه، كما في حديث جريج العابد، حين دعوته أمه وهو يصلي فلم يجبها، وتكرر النداء فلم يجبها، فقالت: اللَّهُمَّ لا يَمُوتُ جُرَيْجٌ حتى يَنْظُرَ في وُجُوهِ المَيامِيسِ. (البخاري: ١٢٠٦).

### ومن صور البر بعد الممات:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أنَّ امْرَأَةً جاءَتْ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالَتْ: إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أنْ تَحُجَّ فَماتَتْ قَبْلَ أنْ تَحُجَّ، أفَأَحُجَّ عَنْها؟ قالَ: نَعَمْ، حُجِّي عَنْها، أرَأَيْتِ لو كانَ على أُمِّكِ دَيْنٌ أكُنْتِ قاضِيَتَهُ؟، قالَتْ: نَعَمْ، فَقالَ: اقْضُوا اللَّهَ الذي له، فإنَّ اللَّهَ أحَقُّ بالوَفاءِ. (صحيح البخاري ٧٣١٥).

وكذا من صور البر بعد الموت الدعاء والاستغفار للأبوين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الرَّجُلَ لَيَتْبَعُه يومَ القيامةِ أمثالُ الجبالِ مِنَ الحسنات، فيقول: أنَّى هذا؟! فيقولُ: باستغفارِ ولدِك لك من بَعْدِكَ. (أحمد: ٢/٥٠٩).

يُظن البعض أن بر الوالدين مجاله الحياة الدنيا، فإذا ما انتهت حياتهما في الدنيا فقد تحلل الشخص من هذا الواجب وذلك خطأ مبين، فإن بر الوالدين على خلاف ذلك: إنه يمتد إلى ما بعد الوفاة: عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما.

ويخطئ البعض حين يقطع أمه طوال العام، بل قد يسبها ويُفضل زوجته وأولاده عليها، ثم هو يذهب إليها يومًا في السنة حاملاً بين يديه شيئًا من الهدية ويظن أنه بذلك بار بأمه، ومخافة أن يأثم في ظنه ولم يعلم المسكين أن كل لحظة عاق أمه أو أبيه بالكلام أو بالسب أو بالقطيعة ولو بالنظرة الحادة فإنه آثم عاصٍ لله مرتكب كبيرة من أكبر الكبائر، والجنة عليه حرام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثةٌ حرَّم اللهُ تبارك وتعالى عليهم الجنَّةَ: مدمنُ الخمرِ، والعاقُّ، والدَّيُّوثُ الذي يُقِرُّ الخبثَ في أهلِه». (صحيح الجامع: ٥٧٠٤).

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ليلة، فقال: «اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمي، ولمن استغفر لهما». قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة. (صحيح الأدب المفرد ٢٨).

«رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ» (إبراهيم: ٤١)، «رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٤).

# نظرات في أحكام الطلاق

## (٤)

# وقوع الطلاق البدعي

**إعداد** محمد عبد العزيز

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ » (سبأ: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا هو المقال الرابع في هذه النظرات، وهو المقال الثاني في حكم الطلاق البدعي، ولعل هذه المسألة: وقوع الطلاق البدعي من أهم مسائل هذا الباب، وهي مزلة أقدام، وهذه المسألة ليس فيها قول بالاحتياط:

- فمن قال بأن الطلاق البدعي للوقت لا يقع، وهو واقع: فقد أحل هذه المرأة لأجنبي وهي عليه حرام إجماعًا، وحرم زواجها من غيره وهو حلال إجماعًا.

- ومن قال بأن الطلاق البدعي للوقت واقع، وهو غير واقع: فقد حرمها على زوجها وهي حلال، وأحل لها نكاح غيره وهي عليه حرام؛ فالعقد على المتزوجة باطل إجماعًا.

واختيار قول من القولين بغير دليل واضح قولٌ على الله بغير علم، قال الله تعالى: « وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (البقرة: ١٦٨، ١٦٩).

واختيار قول بالهوى كذب على الله في التحليل والتحريم، قال تعالى: « وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » (النحل: ١١٦).

ولذا فسأخرج قليلا عن منهج هذه النظرات المنبَهة على: تصور صورة المسألة، وتصور صورة الاستدلال إلى شيء من التفصيل، فأقول وبالله التوفيق والسداد:

### سؤال هذه المسألة: هل يقع الطلاق البدعي؟

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال إجمالاً:

الأول: أن الطلاق البدعي محرم، وهو واقع، وهو مذهب الجمهور.

الثاني: أن طلاق البدعة محرم، وفيه تفصيل، فبعضه واقع وبعضه غير واقع، وهو مذهب الظاهرية، وقد انتصر له ابن حزم.

الثالث: أن الطلاق البدعي محرم، وهو للزمن وحده غير واقع، وهو مذهب: ابن تيمية، وقد نصره ابن القيم في مصنفاته.

وتفصيل هذه الأقوال:

القول الأول: أن طلاق البدعة محرم، وهو واقع على كل حال إن كان من أهل وصادف المحل، وهو مذهب جماهير الأمة سلفًا وخلفًا، ومنهم المذاهب الأربعة، بل قد حكي فيه الإجماع.

القول الثاني: أن طلاق البدعة إن كان من أهل وصادف المحل محرم.

وأما لزومه ووقوعه فله خمس حالات، لا يلزم في بعضها ويلزم في بعضها:

- فلا يلزم ولا يكون نافذًا في حالين منها.
- ويلزم ويكون نافذًا في ثلاث حالات منها.

على التفصيل التالي:

١- الحالان اللذان لا يلزم فيهما طلاق البدعة:

أ- أن يطلقها طلقة واحدة رجعية في طهر مسّ فيه، أو في حيض، فحكمه: لا يلزمه الطلاق، فلا يكون نافذًا.

ب- أن يطلقها طلقتين رجعيتين في طهر مسّ فيه، أو في حيض، فحكمه: لا يلزمه الطلاق، فلا يكون نافذًا.

٢- الحالات الثلاثة التي يلزم فيها طلاق البدعة، فيكون واقعًا:

أ- أن يطلقها في طهر مسّ فيه، أو في حيض طلقة ثالثة تبين بها، فيلزم الطلاق فيها، فيكون نافذًا.

ب- أن يطلقها في طهر مسّ فيه، أو في حيض ثلاث طلقات مجموعة تبين بها، فيلزم الطلاق فيها، فيكون نافذًا.

ج- أن يطلقها في حيض قبل الدخول سواء طلقها واحدة أو أكثر، فيحرم، ويلزم الطلاق فيها، فيكون نافذًا.

وهو مذهب الظاهرية، كما حكاه ابن حزم في المحلى، وانتصر له.

قال في المحلى (٩/٣٥٨): «فإن طلقها طلقة أو طلقتين في طهر وطئها فيه، أو في حيضتها: لم ينفذ ذلك الطلاق وهي امرأته كما كانت، إلا أن يطلقها كذلك ثالثة، أو ثلاثة مجموعة فيلزم».

وأورد سؤالاً عن مذهبهم، وأجاب عنه، قال في المحلى (٩/٣٨٣): «فإن قالوا: إنكم تلزمونه الطلاق في الحيض، وفي طهر مسّها فيه:

- إذا كان طلاقا ثالثا.
- أو ثلاثة مجموعة.
- وفي غير المدخول بها بكل حال؟

قلنا: نعم».

وهل قال قائل بهذا التفصيل قبل الظاهرية، جوّز ابن حزم أن يكون ذلك مذهب ابن عمر- رضي الله عنهما- قال المحلى (٩/٣٨٤): «قد يمكن أن ابن عمر أراد بالمعصية من طلقها كذلك دون الثلاث».

ونفى ثبوت الإجماع وان لم يعرف المخالف، وجوز أن يكون ذلك مذهب ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر- رضي الله عنهم-، وطاووس، وخلاس بن عمرو- رحمهما الله-.

أقول: أما ابن عمر- رضي الله عنهما-: فهذا الذي ذكره ابن حزم لا يصح عنه، بل الوارد عنه: «لا تعتد بتلك الحيضة»، رواه ابن أبي شيبة (١٧٧٥٢)، وابن الأعرابي في معجمه (١٧٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٤٠٢)، وقد أخرجه ابن حزم مختصرًا من نفس مخرجه، واحتج به، وهو خطأ، وسيأتي.

وأما طاووس: فسيأتي حديثه وما فيه.

وأما خلاس بن عمرو: فهذا الذي ذكره ابن حزم لا يصح عنه أيضًا، بل الوارد عنه أنه لا يعتد بتلك الحيضة، أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٧٦٠).

ولنا وقفة مع ما نقله عن ابن عباس ستأتي قريبًا.

قال ابن حزم في المحلى (٩/٣٧٦- ٣٧٧): «وقد كذب مدعي ذلك؛ لأن الخلاف في ذلك موجود، وحتى لو لم يبلغنا لكان القاطع على جميع أهل الإسلام بما لا يقين عنده به، ولا بلغه عن جميعهم: كاذبًا على جميعهم.

روينا من طريق عبد الرزاق عن وهب بن نافع أن عكرمة أخبره: أنه سمع ابن عباس يقول:

«الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال، ووجهان حرام:

فأما الحلال: فأن يطلقها من غير جماع، أو حاملاً مستبينًا حملها.

وأما الحرام: فأن يطلقها حائضًا، أو حين يجامعها لا يدري أيشتمل الرحم على الولد أم لا؟» (وحديث ابن عباس: أخرجه عبد الرزاق (١٠٩٥٠): عن وهب بن نافع، أن عكرمة أخبره أنه سمع ابن عباس به.

وفيه: وهب بن نافع، الصنعاني، اليماني، عم عبد الرزاق بن همام، لخص حاله في المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٢/ ٦٣٠) فقال: سكت عنه البخاري، وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات).

«قال أبو محمد: ومن المحال أن يخبر ابن عباس عما هو جائز بأنه حرام.

ومن طريق ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن الأعمش أن ابن مسعود قال: «من طلق كما أمر الله تعالى فقد بيّن الله تعالى له، ومن خالف فإنا لا نطيق خلافه».

نا يونس بن عبيد الله نا ابن عبد الله بن عبد الرحيم نا أحمد بن خالد نا محمد بن عبد السلام الخشني نا ابن بشار نا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي نا عبيد الله بن عمر عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال ابن عمر: لا يعتد بذلك.

ومن طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن عبد الله بن طاووس عن أبيه أنه: كان لا يرى طلاقًا ما خالف وجه الطلاق، ووجه العدة.

وكان يقول: وجه الطلاق: أن يطلقها طاهرًا عن غير جماع، وإذا استبان حملها».

(وحديث طاووس الأول: أخرجه عبد الرزاق (١٠٩٢٥)، ولفظه: عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه: «أنه كان لا يرى طلاقا ما خالف وجه الطلاق ووجه العدة، وأنه كان يقول: «يطلقها واحدة ثم يدعها حتى تنقضي عدتها».

والثاني: أخرجه عبد الرزاق (١٠٩٢٣)، ولفظه: عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه، أنه كان يقول: «وجه الطلاق أن يطلقها طاهرًا من غير جماع، وإذا استبان حملها»).

وقال ابن حزم: «نا محمد بن سعيد بن نبات نا عباس بن أصبغ نا محمد بن قاسم بن محمد نا محمد بن عبد السلام الخشني نا محمد بن المثنى نا عبد الرحمن بن مهدي نا حمام بن يحيى عن قتادة عن خلاس بن عمرو أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال: لا يعتد بها.

قال أبو محمد: والعجب من جرأة من ادعى الإجماع على خلاف هذا، وهو لا يجد فيما يوافق قوله في إمضاء الطلاق في الحيض، أو في طهر جامعها فيه كلمة عن أحد من الصحابة- رضي الله عنهم- غير رواية عن ابن عمر قد عارضها ما هو أحسن منها».

وهنا ملاحظات على ما قاله ابن حزم:

الأولى: أن ما حكاه عن ابن عباس- سبق وليس فيه: أن من طلق لغير السنة لا يقع طلاقه-، وكذا ابن مسعود- رضي الله عنهما- على التسليم بثبوتهما، فليس فيهما أنهما لا يقولان بلزوم الطلاق البدعي، وما نقله عنهما من أنهما يقولان بحرمة الطلاق البدعي فإجماع، فهاتان مسألتان، وليست مسألة واحدة، فقد حاد عن محل الخلاف، وترك ظاهريته في الأخذ بالنص.

(وحديث ابن مسعود السابق: أخرجه عبد الرزاق (١٠٩٢٩) عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال: «من أراد أن يطلق للسنة كما أمر الله فليطلقها طاهرًا من غير جماع».

وليس فيه: أن من طلق لغير السنة لا يقع طلاقه.

والحديث فيه: أبو إسحاق الهجري: إبراهيم بن مسلم قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢١٦/٦٥/١):

ضعفه ابن معين، والنسائي.

وقال أبو حاتم: ليس بقوي.

وقال ابن عدي: إنما أنكروا عليه كثرة روايته عن أبي الأحوص، عن عبد الله، وعامتها مستقيمة.

ولخص الحافظ حاله في التقريب فقال (ص٩٤ رقم: ٢٥٢ ): لين الحديث، رفع موقوفات).

الثانية: أن ما نقله عن ابن عمر- رضي الله عنهما- ليس صريحًا عنه في أنه لا يعتد بالطلاق البدعي، بل قد تناقض في هذه الدعوى؛ لأنه لما روى عن ابن عمر- رضي الله عنه- ما جاء في الصحيحين أنه اعتد بطلاقه قال: لعله مذهب ابن عمر، أو من دونه، وليس قول النبي- صلى الله عليه وسلم-.

الثالثة: أن ما نقله عن طاووس من عدم اعتداده بالطلقة ليس صريحًا، بل غاية ما فيه: أنه لا يرى طلاقًا ما خالف وجه الطلاق، ووجه العدة.

ومعناه: لا يرى أن هذا الطلاق ليس للسنة، ويرى أن هذا الطلاق ليس للعدة التي أمر الله بها، ويفسره قوله: وجه الطلاق: أن يطلقها طاهرًا عن غير جماع، وإذا استبان حملها.

ولم يتعرض لنفاذ الطلاق من عدمه، وقد جاء عنه ما يبين أنه يقول بنفاذ هذا الطلاق، فقد أخرج عنه ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو بكر قال: نا ابن علية، عن ليث، عن طاووس قال: «إذا طلق الرجل المرأة، وهي حائض لم تعتد بتلك الحيضة» (أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٧٥٤)).

فقوله: لم تعتد بتلك الحيضة كالصريح في وقوع الطلاق عليها، لكن لا تبدأ العدة بالحيضة التي وقع عليها فيها الطلاق البدعي.

الرابعة: أن ما نقله عن خلاس بن عمرو من عدم اعتداده بالطلقة ليس صحيحًا، بل الوارد عنه: عدم الاعتداد بالحيضة التي وقع فيها الطلاق، أخرج ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو بكر قال: نا ابن مهدي، عن همام، عن قتادة، عن سعيد، وخلاس، قالا: «لا تعتد بتلك الحيضة» (أخرجه ابن أبي شيبة: ١٧٧٦٠).

الخامسة: أنه ليس في جميع ما ذكر لو افترضنا ثبوته- تنزلاً- التفصيل الذي قال به الظاهرية.

فبقي له ما قاله أولاً أنه لا يعتد بهذا الإجماع مع اعتقاد مخالفته للسنة في اعتقاده، وأن الخلاف في ذلك موجود، حتى لو لم يبلغنا، وهو نظر ضعيف كما رأيت.

وأما قائل بمذهبهم على التفصيل، فلا أعلم قائلاً به، وهو يستشهد على صحته بحديث ابن عمر- رضي الله عنهما-، والصحيح عن ابن عمر: أنه لا يوافقه عليه أيضًا.

القول الثالث: أن طلاق البدعة محرم، وهو غير واقع، وقد ذهب إليه ونصره كل من شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن القيم رحمهما الله تعالى، ونصراه في كثير من الأبحاث، وجرت عليهما كثير من المحن بسببه، وقال به من فضلاء المعاصرين جمع من أهل العلم، وأما القائلون بهذا المذهب من السلف فقد نقله ابن القيم عمن نقل عنهم ابن حزم عدم الوقوع، ويرد على قوله ما ورد على قول ابن حزم، فالصحيح أنه لا قائل به من السلف. (ينظر: زاد المعاد ٢٠٢/٥).

والفرق بين مذهب ابن تيمية وابن القيم ومذهب ابن حزم القول بالتفصيل:

فهما يوافقان الظاهرية وابن حزم في: عدم وقوع الطلاق البدعي للوقت، على من طلق طلقة أو طلقتين في حيض أو في طهر مسَّ فيه

ويخالفان ابن حزم والظاهرية في: القول بوقوعه على من طلق ثلاثًا جميعًا، أو طلق ثالثة في حيض أو في طهر مس فيه.

فيقولان بعدم الوقوع في الكل، وهذا لم يسبقهم إليه أحد من أصحاب المذاهب المعروفة.

فهذه صورة الخلاف ملخصة في هذه المسألة، وقد استدل الفريقان فيها بالمنطوق، والمعقول، وطالت بينهما المناقشات.

وهنا قد آن لي أن أضع القلم لضيق المحل عن ذكر ما فوق ذلك، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

# استشعار المسلم مراقبة الله له

إعداد صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لله، الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الَّذي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فإن مراقبة الله تعالى للمسلم لها ثمرات مباركة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

### تعريف المراقبة:

الْمُرَاقَبَةُ: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢ صـ٦٥).

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ اللهِ تَعَالَى وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ قِيَامِهِ بِأَيِّ عَمَلٍ.

### حقيقة المراقبة:

الْمُرَاقَبَةُ: هِيَ مُلَاحَظَةُ الرَّقِيبِ وَانْصِرَافُ الْهَمِّ إِلَيْهِ، وَيُعْنَى بِهَا حَالَةٌ لِلْقَلْبِ يُثْمِرُهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَتُثْمِرُ تِلْكَ الْحَالَةُ أَعْمَالًا فِي الْجَوَارِحِ وَفِي الْقَلْبِ. أَمَّا الْحَالَةُ فَهِيَ مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِلرَّقِيبِ وَمُلَاحَظَتُهُ إِيَّاهُ، وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ فَهِيَ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ، عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَأَنَّ سِرَّ الْقَلْبِ فِي حَقِّهِ مَكْشُوفٌ كَمَا أَنَّ ظَاهِرَ الْبَشَرَةِ لِلْخَلْقِ مَكْشُوفٌ. (موعظة المؤمنين، جمال الدين القاسمي، صـ٣٠٧).

### درجات المراقبة:

**الْمُرَاقَبَةُ لَهَا ثَلَاثَةُ دَرَجَاتٍ، وَهِيَ:**

(١) مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَى فِي طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ الَّذِي يُرْضِيهِ.

(٢) مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَى عِنْدَ وُرُودِ الْمَعْصِيَةِ بِتَرْكِهَا.

(٣) مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَى فِي الْهَمِّ وَالْخَوَاطِرِ وَالسِّرِّ وَالْإِعْلَانِ. (رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي، ص١٨١).

### الله رقيب على عباده:

(١) قَالَ سُبْحَانَهُ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١). قَالَ الإِمَامُ ابنُ كثير (رَحِمَهُ اللهُ): قَوْلُهُ: (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا). أَيْ: هُوَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ. (تفسير ابن كثير، جـ٢-ص٢٠٦).

(٢) قال سبحانه حكاية عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم: (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) (المائدة: ١١٧). قال الإمامُ الشوكاني (رَحِمَهُ اللهُ): قَوْلُهُ: (أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ). أَصْلُ الْمُرَاقَبَةِ: الْمُرَاعَاةُ، أَيْ كُنْتَ الْحَافِظَ لَهُمْ، وَالْعَالِم

بهم والشاهد عليهم. (فتح القدير، للشوكاني، جـ٢، ص١٠٩).

(٣) قال الله تعالى: ( وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ) (القصص:٦٩)، قال الإمام الطبري (رحمه الله): وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه؛ وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم. (تفسير الطبري، جـ١٨، ص٣٠٣).

وعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سئل عن الإحسان. فقال: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (مسلم، حديث:٨)؛ قال الإمام ابن عثيمين (رحمه الله): قوله: (تعبد الله كأنك تراه). يعني: تصلي وكأنك ترى الله عز وجل، وتزكي وكأنك تراه، وتصوم وكأنك تراه، وتحج وكأنك تراه، تتوضأ وكأنك تراه، وهكذا بقية الأعمال. وكون الإنسان يعبد الله كأنه يراه دليل علي الإخلاص لله، عز وجل، وعلى إتقان العمل في متابعة الرسول، صلى الله عليه وسلم، لأن كل من عبد الله على هذا الوصف فلا بد أن يقع في قلبه من محبة الله وتعظيمه ما يحمله على إتقان العمل وأحكامه. (شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، جـ١، ص٤٨٠).

### أقوال السلف الصالح في المراقبة:

سوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح في المراقبة:

(١) قال أبو الدرداء، رضي الله عنه: ليتق أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله، فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين. (جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص١٦٢).

(٢) قال سليمان التيمي (رحمه الله): إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته. (جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص١٦٢).

(٣) قال أحمد بن محمد بن مسروق (رحمه الله): من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه. (الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، جـ١، ص١٠٠).

(٤) قال عبد الله بن المبارك (رحمه الله) لرجل: راقب الله تعالى. فسأله الرجل عن تفسيره، فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل. (إحياء علوم الدين، للغزالي، جـ٤، ص٣٩٧).

(٥) قال الحارث المحاسبي (رحمه الله): المراقبة علم القلب بقرب الله تعالى. (إحياء علوم الدين، للغزالي، جـ٤، ص٣٩٧).

(٦) قال ابن عطاء (رحمه الله): أفضل الطاعات: مراقبة الحق على دوام الأوقات. (إحياء علوم الدين، للغزالي، جـ٤، ص٣٩٧).

### ثمرات العلم بمراقبة الله للعبد:

نستطيع أن نوجز فوائد استحضار مراقبة الله للمسلم في الأمور التالية:

(١) تجعل المسلم يصل إلى درجة الإحسان، الذي يعتبر علامة كمال الإيمان.

(٢) تضمن للمسلم رضا الله تعالى عنه في الدنيا، ودخول الجنة يوم القيامة.

(٣) زينة لقلب المسلم:

قال سهل بن عبد الله التستري (رحمه الله): لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله تعالى شاهده حيث كان. (إحياء علوم الدين، للغزالي، جـ٤، ص٣٩٧).

(٤) تساعد على غض البصر:

سئل الجنيد (رحمه الله) بم يستعان على غض البصر؟ قال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره. (جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص١٦٢).

(٥) سبب الفوز بظل عرش الله يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله (فذكر منهم). ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله. (البخاري، حديث: ١٤٢٣، ومسلم، حديث: ١٠٣١).

قوله: (ورجل دعته امرأة): أي: إلى الزنا

بها. وقوله: (ذات حسب). الحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه. وقوله: (وجمال) أي: في غاية كمال. (مرقاة المفاتيح، علي الهروي، جـ٢، ص٥٩٤).

(٦) تذكر المسلم بالموت:

استحضار المسلم لمراقبة الله تعالى له في جميع أقواله وأفعاله، يجعل المسلم يتذكر الموت وشدته، فيقبل على طاعة الله ويتجنب معصيته.

(١) قال سبحانه: (وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ) (ق:١٩). قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): يقول تعالى: وجاءت، أيها الإنسان-سكرة (شدة) الموت بالحق، أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه، (ذلك ما كنت منه تحيد) أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص. (تفسير ابن كثير، جـ٧، ص٣٩٩).

(٢) قال جل شأنه: (فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ) (الواقعة:٨٣:٨٥). قال الإمام ابن كثير (رحمه الله) قوله تعالى (وأنتم حينئذ تنظرون): أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت. (تفسير ابن كثير، جـ٧، ص٥٤٨).

(٣) عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة، أو علبة، فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده. (البخاري، حديث: ٦٥١٠).

قوله: (لا إله إلا الله)، أي: الواحد القهار الذي قهر العباد بالموت، وهو الحي الذي لا يموت. وقوله: (إن للموت سكرات)، أي: شدائد ومشقات عظيمات من حرارات ومررات طبيعيات، حتى للأنبياء، وأرباب الكمالات، فاستعدوا لتلك الحالات، واطلبوا من الله تهوينه للأموات. وقوله: (في الرفيق الأعلى) هم الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين. (مرقاة المفاتيح، علي الهروي، جـ٩، ص٣٨٤٦).

(٧) تجعل المسلم يتصف بالورع:

قال زيد بن أرقم، رضي الله عنه: كان لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مملوك يغل عليه (يعمل ويأتيه بالمال)، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني، قال: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به.). فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة. (حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني ج١، ص٣١).

(٨) تجعل المسلم متسامحا مع الناس:

كان أبو حنيفة رحمه الله يبيع الخز (الحرير)، فجاءه رجل فقال: يا أبا حنيفة قد احتجت إلى ثوب خز. فقال: ما لونه؟ فقال: كذا وكذا. فقال له: اصبر حتى يقع وآخذه لك إن شاء الله. فما دارت الجمعة حتى وقع فمر به الرجل، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتك، فأخرج إليه الثوب فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة كم أزن للغلام؟ قال: درهما. قال: يا أبا حنيفة ما كنت أظنك تهزأ. قال: ما هزأت، إني اشتريت ثوبين بعشرين دينارا ودرهم، وإني بعت أحدهما بعشرين دينارا، وبقي هذا بدرهم، وما كنت لأربح على صديق. (تاريخ بغداد-للخطيب البغدادي-جـ١٣، ص٣٦٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

# الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر:

## حسن الظن والتماس المعاذير

إعداد د.محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال حديثنا موصولاً حول الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر، ونتحدث اليوم- بعون الله تعالى- عن:

### حسن الظنّ والتماس المعاذير

فلذلك دأب النبلاء، وأدب الفضلاء ممن تمت مروءتهم، وكمل سؤددهم، فأعقل الناس أعذرهم للناس.

والا لو استرسل الإنسان مع سوء ظنه، واغلاقه الباب في وجه من يعتذر إليه لم يبقَ له صديق ولا صاحب إلا نفسه التي بين جنبيه.

قال الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» (الحجرات:١٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث». (البخاري: ٥١٤٣، ومسلم: ٢٥٦٣).

ويتأكد هذا الأمر مع من يكثر الإنسان من صحبتهم؛ كالأصدقاء، والأقارب، والزوجة، والأولاد، ويزداد تأكيدًا في حق العلماء، والفضلاء.

فإذا لزمنا حسن الظن، والتماس المعاذير؛ حفظنا لرجالنا مكانتهم، وحملنا من يقصّر في أي شأن من الشؤون إلى أن يرتفع بنفسه، وينأى عن الدنايا، وقطعنا الطريق على من يريد التشكيك بالأفاضل، والتنقيص من أقدراهم.

ولا ريب أن لذلك أثره في قوة الأمة وتماسك أفرادها.

جاء في الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: «شكا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا- يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه- إلى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي!

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا أُصَلِّي صَلاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ- يعني عمر-: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاثٍ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ وَأَطِلْ فَقْرَهُ وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ- بن عمير-: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ». (البخاري: ٧٥٥، ومسلم: ٤٥٣).

فانظر كيف أحسن عمرُ الظنَّ بسعد رضي الله عنهما.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الشأن أن يَحمل الإنسان ما يصدر من الآخرين على أحسن المحامل، وأن يلتمس لهم أحسن المخارج؛ فربما كان لهم عذر وأنت تلوم.

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً
مطلوب من باعة الصحف والمكتبات

## ثمن الكرتونة

## ١٠٥٠ جنيه

## مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تزدان بها البيوت

**المكتبة الإسلامية**

**المكتبة العامة**

**مكتبتك الخاصة**

**الأسرة المسلمة**

## لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار .. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
☎ 23936517

تمور
الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO
22000
Safety Seal
تمور
الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
☎ 01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر